وصية الأوس بن حارثة

(دراسة بلاغية تحليلية)

إعداد:

هاني عمر محمد غانم

مدرس البلاغة والنقد بكلية الدراسات

الإسلامية والعربية بنين بدمياط الجديدة

وصية الأوس بن حارثة (دراسة بلاغية تحليلية)

هاني عمر محمد غانم

مدرس البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بدمياط الجديدة

البريد الإلكتروني : HanyGhanem.33@azhar.edu.eg

الملخص :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد،

فهذا بحث بلاغي بعنوان (وصية الأوس بن حارثة) دراسة بلاغية تحليلية، يقوم على التحليل البلاغي لوصية من أجلِّ الوصايا التي قالها العرب في زمن يقال عليه زمن الجاهلية، وهو أزهى العصور التي مرت على اللغة العربية، وأخصب الأزمنة التي أورقت فيه رياض الكلمات، وأنتجت أعذب القصائد والمقطوعات النثرية على اختلافها، وفيه اكتملت اللغة العربية وتمت، وبه الحُجَّة والدليل.

فهذه الوصية بالنظرة الأولى تُبيِّنُ عن عقلية قائلها، عقل زانه الحلم، واكتسى الحكمة، ووشّح بوشاح السيادة والريادة في قومه، فالقول موجز، والأثر بيِّن وواضح، والغاية المرجُوَّة النجاةُ النجاة، فقد صُبَّت الوصية في قالب من الألفاظ المحكمة، والتراكيب الموجزة، والأساليب المراعية لحال المخاطِب والمخاطَب معًا.

وفن الوصايا قد صيغ للاعتبار بساعة الاحتضار، والفوز بغنائم الوصية

إذا ما دارت الأيام والعقل في أخذ المشورة قد احتار.

فاستعنت بالله على اختيارها لتناولها بالدرس والتحليل البلاغي، كما حرصت على التحليل البلاغي لما سبق الوصية من تقديم وأخبار أوردها الراوي قبل الوصية؛ نظرًا لأهمية هذا التقديم وتلك الأخبار وارتباطها الوثيق بالوصية.

وقد اقتضت طبيعة تلك الدراسة على تقسيمها إلى تمهيدٍ وثلاثة مباحث:

تمهيد البحث: نبذة مختصرة عن أوس بن حارثة.

المبحث الأول: التحليل البلاغي للوصية وما سبقها من تقديم وأخبار.

المبحث الثاني : الخصائص التي اتسمت بها وصية أوس بن حارثة.

المبحث الثالث: الاستشهاد بوصية أوس بن حارثة في اللغة والأدب.

ثم الخاتمة، وفيها إبراز النتائج والتوصيات، ثم الفهارس الفنية، والله الموفِّق.

الكلمات المفتاحية : وصية – الأوس بن حارثة - التحليل البلاغي – العرب – أنواع الكلام.

The Commandment of Al-Aws bin Haritha

Hani Omar Mohammed Ghanem

Teacher of eloquence and criticism at the Faculty of Islamic and Arab Studies Benin in New Damietta

E-mail: HanyGhanem.33@azhar.edu.eg

Abstract :

Praise be to GOD and blessing and peace be upon His prophet, His kind folk and His companions and then,

This is a rhetorical research entitled **(The Commandment of Al-Aws bin Haritha)**, an analytical rhetorical study, based on the rhetorical analysis of a will for the sake of the commandments that the Arabs said at a time called the time of pre-Islamic times. It is the best period in the Arabic language, the most fertile time in which the words were kindled, and the sweetest poems and prose fragments of all kinds were produced, in which the Arabic language was completed and completed, and with it the argument and evidence.

The rhetorical and critical rule highlights the beauty and It makes it shine brightly, (it indicates to the good at least and set it aside out of the rhetorical field. However, these rhetorical rules indicate the reasons for its bad quality, its distance from the exact formulation and how to reformulation it excellently(.

The art of “commandment” was drafted to make people take a lesson from the throes of death, (and gain the trophies of the commandment after days of the death passes.)

So I seek the help from Allah to choose it _ “commandment” _ for study and rhetorical analysis, also, I was keen on rhetorical analysis of what preceded the “commandment” of the presentation and news, narrated by the narrator before the “commandment” because of the importance of this presentation and that news and its close connection with the “commandment”, to highlight its proverbs, it has become a source of guidance for everyone confused and counselling for every concerned.

The nature of that study required that it be divided into a preface and three topics: **Preface to the research**: A brief summary of "Aous ibn Haritha."

- **The first topic**: rhetorical analysis of the "commandment" and what preceded it of introduction and news.
- **The second topic**: The characteristics that characterized the commandment of "Aous ibn Haritha."
- **The third topic**: citing the commandment of "Aous ibn Haritha" in language and literature.

Then the conclusion: contains highlighting the results and recommendations of the research. **Then** technical indexes. Allah bless

Keywords: Commandment - Al-Aws bin Haritha - Rhetorical Analysis - Arabs - Types of Speech

مقدمة

الحمد لله الذي جعل العلم نسبًا لأصحابه، وعوناً على شكر عظيم آلائه، به وصّى، وعليه أوصى، وإرث الأنبياء، وصفة الأتقياء، وحُلَّة المصطفين، وسربال المتقين.

والصلاة والسلام على معلم البشر، والسراج للدنيا حين الجهل سرى، والظلام انتشر.

وبعد،

فقد تعددت أنواع الكلام في اللغة العربية بين شعرٍ ونثرٍ، وكما تعددت الأغراض والبحور العروضية التي تُبنى عليها القصائد الشعرية، كذلك تعددت الفنون النثرية، بين خُطَبٍ ورسائلٍ ووصايا وتوقيعات ومقالات، ولكلٍ سِماتٌ تميزه، وخصائص تُعَرِّفه.

ومن أنواع الكلام التي اهتممت بها، وزاد تعلقي بها النثر؛ وذلك لأسبقيته وقلة السالكين دروبه؛ لصعوبة المسلك ووعورة الطريق، وتشعُّبِ مراميه، والملفوظ يعبر عن مفاهيم كثيرة، وفوائد جمّة، وأغراض كثيرة.

ومن أنواع النثر التي زانها الصدق في القول، وعمق التجربة، والحكمة البالغة، والأثر الذي لا يُمحى من الذاكرة، فن **الوصايا** في النثر العربي.

وهو فن كثر في تراثنا الأدبي، ووجهه كثير من أسلافنا الحكماء إلى غيرهم، وتعددت موضوعاته ومضامينه والغاية من ورائه، ويمثل هذا الفن أهمية قصوى في حياة العرب والمسلمين بشكل عام، كما أن هذا اللون النثري البديع، قد اشتمل على كل الفنون البلاغية التي تجعله في مرتبة أعلى من غيره من الفنون، فهو خلاصة تجارب الحياة التي مرت على صاحب الوصية، يصبُّها في قالب نثري حين ينقطع الأمل من الدنيا،

ويرى أنه يدقُّ بساعد الجَدّ على باب قبره، ويخشى من الدنيا على الأبناء والأحفاد، فيعطيهم الخريطة التي على نهجها تكون النجاة من شراك الدنيا وفخاخها.

ومن أجلِّ الوصايا التي وردت ورواها لنا الرواة بلسان الفخر والعزة حين تداولها، وحال الأسى والاعتبار بما فيها ساعة تناقلها، علّها تكون النجاة من بحر الحياة المتلاطم الأمواج، الثائر على كل السابحين بمياهه البعيدة الشطآن، هي الوصايا التي قالها العرب في زمن يقال عنه زمن الجاهلية، وهو أزهى العصور التي مرت على اللغة العربية، وأخصب الأزمنة التي أورقت فيه رياض الكلمات، وأنتجت أعذب القصائد والمقطوعات النثرية على اختلافها، وفيه اكتملت اللغة العربية وتمت، وبه الحُجَّة والدليل.

ومن بين تلك الوصايا التي روتها الكتب، وغفلت عن تناقلها ألسنة كتب العصر الحديث، **وصية الأوس بن حارثة لولده مالك**، فهذه الوصية بالنظرة الأولى تُبيِّنُ عن عقلية قائلها، عقل زانه الحلم، واكتسى الحكمة، ووشّح بوشاح السيادة والريادة في قومه، فالقول موجز، والأثر بيِّن وواضح، والغاية المرجُوَّة النجاةُ النجاة، فقد صُبَّت الوصية في قالب من الألفاظ المحكمة، والتراكيب الموجزة، والأساليب المراعية حال المخاطِب والمخاطَب معًا، وكأن الأوسَ قد اعتصر الحياة عصرًا، وتقلب على فُرشِها وأسِرَّتها بين النعيم والجدَب، والسلم والحرب، واللقاء والفراق، فأخذ من كلٍ حكمته وخلاصته، وبعدما اعتركته الحياة الدنيا وأخذ نصيبه منها، ناداه منادي الموت أن لبِّ النداء، فما لحي على الدنيا بقاء، فالأهل قد سبقونا، والولدان سيعقبوننا، وربما أسرعوا في خطاهم وتجاوزونا.

والقاعدة البلاغية والنقدية تبرز الحَسَن وتُلقي عليه شعاعًا من نورٍ

ليُحْتَذَى، وتشير إلى الأقل حُسناً، وتبين أسباب بُعْده عن الإصابة فيما صيغ له، وكيفية إعادة صياغته للظفر بالمراد، وبالاستعانة بها على تحليل تلك الوصية، ستبرز المعاني التي توارت عن العقول، واتخذت من رسم الحروف والكلمات لها ستارًا.

وفن الوصايا قد صيغ للاعتبار بساعة الاحتضار، والفوز بغنائم الوصية إذا ما دارت الأيام والعقل في أخذ المشورة قد احتار.

فاستعنت بالله على اختيار وصية الأوس بن حارثة لولده مالك؛ لتناولها بالدرس والتحليل البلاغي، كما حرصت على التحليل البلاغي لما سبق الوصية من تقديم وأخبار أوردها الراوي قبل الوصية؛ نظرًا لأهمية هذا التقديم وتلك الأخبار وارتباطها الوثيق بالوصية؛ وذلك لإبراز ما بها من أمثال صارت موردًا لكل مضرب، وغنيمة لكل حائر، واستشارة لكل من غُمَّ عليه أمرٌ من الأمور.

وقد اقتضت طبيعة تلك الدراسة على تقسيمها إلى تمهيدٍ وثلاثة مباحث:

تمهيد البحث: نبذة مختصرة عن الأوس بن حارثة.

المبحث الأول: التحليل البلاغي للوصية وما سبقها من تقديم وأخبار.

المبحث الثاني: الخصائص التي اتسمت بها وصية الأوس بن حارثة.

المبحث الثالث: أثر وصية الأوس بن حارثة في الوصايا اللاحقة.

ثم الخاتمة، وفيها إبراز النتائج والتوصيات التي توصل إليها البحث.

ثم الفهارس الفنية.

تمهيد: نبذة مختصرة عن الأوس بن حارثة:

اسمه ونسبه:

هو: الأوس بن حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مُزَيْقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغِطريف بن امرىء القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نَبَت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان[١]، وقبيلة الأوس إحدى قبيلتي الأنصار: (الأوس، والخزرج)، تحول بنوه من اليمن إلى يثرب (المدينة) وجاء الإسلام وهم فيها ، وتفرّعت عنهم بطون متعددة[٢].

بنو الأوس بن حارثة:

لم يكن للأوس ولد إلا مالك، وكان لأخيه الخزرج خمسة: عمرو، وعوف، وجشم، والحارث، وكعب، فقال قوم الأوس له: أمرناك بالتزوج فلم تفعل، فقال: لم يهلك هالك ترك مثل مالك، وإن كان الخزرج ذا عدد وليس لمالك ولد، فلعل الّذي استخرج العذق من الجريمة، والنار من الوثيمة، أن يجعل لمالك نسلًا ورجالًا بُسْلا، بكلام في كلام بليغ[٣].

---

(١) شهداء أحد الذين ذكرهم ابن إسحاق في مغازيه لمحمد بن عبد الله بن عبد القادر غبان الصبحي ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة: السادسة والثلاثون- العدد ١٢٤ - ١٤٢٤هـ /٢٠٠٤م(١/٣٩٥).

(٢) الأعلام للزركلي الدمشقي (ت:١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين ، ط/١٥ - أيار / مايو ٢٠٠٢ م (٢/٣١).

(٣) الأمالي لأبي علي القالي (ت: ٣٥٦هـ)، (١/ ١٠٢) عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، الناشر: دار الكتب المصرية، الطبعة: الثانية، ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦م، وإمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ، ==

ومن نسل مالك بن الأوس ، عوف بن مالك بن الأوس، وعمرو بن عوف ابن مالك، وفصَّل أبو المنذر الكلبي هذا النسل(١).

القول في إسلامه:

أورد أغلب أصحاب كتب التراجم أن الأوسَ بن حارثة كان من المعمرين؛ حيث عاش مائتي ونيف وعشرين سنة.

واختُلِفَ في إسلامه، فمنهم من قال: إنه أدرك الرسول –صلى الله عليه وسلم– وبايعه على الإسلام، وذكروا في ذلك حديثًا طويلًا، فأورد صاحب أُسد الغابة ما نصه: "الأوس ابْن حارثة بْن لأم بْن عَمْرو بْن ثمامة بْن عمرو بْن طريف الطائي. ذكره ابْن قانع، وروى بِإِسْنَادِهِ عَنْ حميد ابْن منهب، عَنْ جده الأوس بْن حارثة قال: « أتيت النبي – صلى الله عليه وسلم – في سبعين راكبًا من طيِّئ، فبايعته عَلَى الإسلام»، وذكر حديثًا طويلًا"(٢).

ومنهم من نفى ذلك، وهذا ما فصَّله صاحب الإصابة في تمييز الصحابة، فبعد أن ذكر رواية ابن قانع قال: "استدركه ابن الدّبّاغ، وساق ابن قانع نسب الأوس بن حارثة فقال: ابن لأم بن عمرو... إلخ، وهو

==

لتقي الدين المقريزي (ت:٨٤٥هـ) (١٧٥/٩) تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية – بيروت–ط/١، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

(١) ينظر: نسب معد واليمن الكبير، لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، (١/ ٣٦٤، ٣٦٥)، تحقيق: الدكتور ناجي حسن، الناشر: عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

(٢) أسد الغابة لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت:٦٣٠هـ)، دار الفكر – بيروت،١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م (١٦٧/١).

وهْم، فإن الأوس بن حارثة بن لأم مات في الجاهلية، وإنما أدرك الإسلام أحفاده، كعروة بن مضرّس بن حارثة، وهانئ بن قبيصة بن الأوس.
ثم قال ابن حجر: وقال ابن عبد البر في إسلامه نظر...إلخ [1].

موقفه مع حاتم الطائي:

– كان الأوس يضارع حاتمًا في الكرم والرياسة... وكان بينه وبين حاتم على الاشتراك في الرياسة والمنافسة ألطف ما يكون بين اثنين، فتحدث في ذلك جلساء النعمان بن المنذر، وأظهروا التعجب منه، فقال النعمان: والله لأفسدن بينهما! قالوا: لا تقدر على ذلك؛ قال: قلَّما جرت الرجال في شيء إلا بلغته، فدخل عليه الأوس، فقال: يا أوس، ما الذي يقول حاتم؟ قال: وما يقول؟ قال: يزعم أنه أفضل منك وأشرف، قال: صدق أبيت اللعن، لو كنت أنا وأهلي وولدي لأنهبنا حاتم في مجلس واحد! ثم خرج وهو يقول:

يَقُولُ لِي النُّعمَانُ لَا مِـن نَصِـيحَةٍ أَرَى حَاتِمًـا فِـي فِعلِـهِ مُتَطَاوِلًـا

لَهُ فَوقَنَا بَـاعٌ كَمَـا قَـالَ حَـاتِمٌ وَمَا النُّصحُ فِيمَا بَينَنَا كَـانَ حَاوِلَـا

ثم دخل حاتم على النعمان، فقال له مثل ذلك، فقال: صدق، وأين أقع منه، وله عشرة ذكور [أخسهم] أفضل مني؟ ثم خرج، وهو يقول:

يُسَاءلنِي النُّعمَانُ كَي يَستَـزلني وَهَيهَاتَ لِي مِن أَنْ أُزَلّ وَأَخـدَعَا

كَفَانِي نَقصًا أَن أضيمَ عَشِـيرَتِي بِقَول أَرَى فِي غَيـرِهِ مُتوسعَـا

([1]) الإصابة في تمييز الصحابة لأبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود ، وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط/١ – ١٤١٥هـ (١/٣٩٣-٣٩٦)

فقال النعمان: ما سمعت بأكرم، منهما"[١].

موقفه مع بشر بن أبي حازم عمرو بن عوف الأسدي:

-كان الأوس بن حارثة من أصحاب الملوك وسادات العرب، وعاش مائتي سنة ونيف، وكان شريفًا، وقدِم يومًا على النعمان بن المنذر... فكرّمه، فحسده قومٌ من أهله، فقالوا للحطيئة: اهجه ولك ثلاثمائة ناقة، فقال لهم، كيف أهجو رجلًا لا أرى في بيتي شيئًا إلا من عنده؟! ثم قال:

كَيْفَ الهَجاء ومَا تَنْفَك صَالِحَةٌ مِنْ آلِ لأم بظهر الغَيْب تأتيني

فقال لهم بشر بن أبي خازم: أنا أهجوه، فهجاه[٢]، فأخذه الأوس وأراد أن يحرقه بالنار، فقالت له أمه: لا تفعل، فإنه لا يغسل هجاه إلا مدحه، فأطلقه، فمدحه بكل بيت هجاه فيه قصيدة فمن قوله فيه:

وَمَا وَطِيء الحَصَى مِثْل ابن ولاَ لَبِسَ النَعَّالَ ولا احْتَذَاهَا [٣]

---

(١) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب لابن سعيد الأندلسي ، تحقيق: الدكتور نصرت عبد الرحمن مكتبة الأقصى، عمان – الأردن (٢٣٠/١، وما بعدها) لا ط- من دون.

(٢) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور: جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) دار الساقي ،ط/٤- ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م (٢٦/١٠).

(٣) السابق (٥٣/١٨).

المبحث الأول: التحليل البلاغي للوصية وما سبقها من تقديم وأخبار

مدخل:

الحمد لله رب العالمين، نَبَّأَ العبادَ أنه هو الغفور الرحيم، فأنهكتنا الأمنيات، واكتسانا الكسلُ، فرحًا بأن أول صفات الإله رحمة، ونُعَمِّرُ، وما يَقْصُرُ بل يَشُبُّ بداخلنا الأمل، ونحمده أن رزقنا أداء شكره، ونستغفره مما عنه قد كسلنا وسهونا، وإذا ما اكتسينا رداء الموت عباءةً، شرعنا بوصية الأهل والحبيب، فالعيون بالنظرات ترنو، والصدور على نبض القلوب تحنو، فهنا يكون فراق المحب للحبيب، وحين نشرع في الوصية، ينطق قبل اللسان الفؤاد، لترقَّ الألفاظ، وبلا انتخاب تُنتقى الكلمات، وتُفَتَّح أبواب القلوب الموصدة، وتستقبل معانٍ من تراكيبَ عجيبة النظم والبنية بمختلف الوجوه والهيئات، فالقول موجز وفي هدوء إلى الآذان نغمه يسري، والمرادُ يسبقُ الشوقَ وفي رياض المحبة إلى القلب يجري، فنهتزُّ وجلًا، ونُطيلُ فكرًا، ونعتبرُ من ذكراها عمرًا، وذاك ما تفعله الوصايا حين الوصية، أو عند ترديد صداها بالذاكرة.

ومن أثمن الوصايا التي تداولها الرواة، ولم يستطع أحد–على حد علمي– أن يكشف عن كل المعاني التي تحتملها الألفاظ في مختلف الجمل والتراكيب، وصية الأوس بن حارثة لولده مالك[1]، فحدثني القلب أن أغمس القلم في مدادها، وأعمل العقل في تحليلها، لعل الله يرزقني معنى جديدًا تومئ إليه ألفاظها وتراكيبها، فجاهدت النفس وأعددت العُدة، واستعنت بالله أن يرزقني حُسن الفهم، والإصابة في التحليل والقول.

---

(1) وردت هذه الوصية في الأمالي لأبي علي القالي (١/ ١٠٢).

نص الوصية:

أورد إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد ابن سلمان (ت:٣٥٦هـ)، المشهور بأبي علي القالي في الأمالي[١]، وصية الأوس بن حارثة بن ثعلبة ابن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس ابن ثعلبة بن مازن بن الأزد لابنه مالك، يقول:

"حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بن دريد، قَالَ: حَدَّثَنِي عمى، عَنْ أبيه، عَنْ هشام بن محمد الكلبى، عَنْ عبد الرحمن بن أبى عبس الأنصاري، قَالَ: **عاشَ الأوسُ بنْ حارثةَ دهرًا وليْس لهُ ولدٌ إلا مَالكٌ، وكانَ لأَخِيهِ الخزرجَ خمسةٌ: عمرو وعوفٌ وجشمٌ والحارثُ وكعبٌ، فلمّا حضرَه الموتُ، قَالَ لَه قومُه: قدْ كُنَّا نأمُرُكَ بالتزْويج فِي شبابٍ مِنْكَ، فَلَمْ تُزَوَّجْ حتى حضرَك الموتُ، فقَالَ الأوسُ: لمْ يهلِكْ هالكٌ تركَ مثلَ مالكٍ، وإن كان الخزرجُ ذَا عددٍ، وليسَ لمالكٍ ولدٌ، فلعَلَّ الذى استخرجَ العَذْقَ[٢] من الجَرِيمَةِ، والنَّارَ منَ الوثيمةِ[٣]، أنْ يجعلَ لمالك نَسْلًا، ورجالًا بُسْلًا[٤]**.

---

(١) ينظر: الأمالي (١/ ١٠٢).

(٢) **اللغة: العَذْقُ**: النَّخلة، والعذْق أيضًا: مصدر عَذَقْتُ الشاةَ، إذا ربطتَ في صُوفها صوفة تخالف لونَها أو خرقة، والعَذْق أيضًا: مصدر عذقت الرجل بِشَرّ، إذا وسَمْتَه به. إصلاح المنطق -لابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (المتوفى: ٢٤٤هـ) (ص: ١٤)، المحقق: محمد مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي- الطبعة: الأولى- ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

(٣) **الوَثيمةُ**: الحَجَرُ. معجم العين (٨/ ٢٥٠)، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال-لاط - من دون.

(٤) **بُسْلا**: البَسَالَةُ: الشجاعةُ، وقد بَسُلَ بالضم فهو باسِلٌ، أي بطل. الصحاح تاج اللغة ==

يا مالكُ، المَنِيَّةُ ولا الدَنِيَّةُ، والعِتَابُ قَبْلَ العِقَاب، والتَّجَلُّدُ ولا التَّبَلُّدُ(١)**، واعْلَمْ أنَّ القَبْرَ خيْرٌ مِنَ الفَقْرِ، وشَرٌّ شَارِبٍ المُشْتَف**(٢)**، وأَقْبَحُ طَاعِمٍ المُقْتَف**(٣)**، وذِهَابُ البَصَرِ خيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ النَّظَرِ، ومِنْ كَرَمِ الكَرِيمِ الدِّفَاعُ عَنِ الحريمِ، ومَنْ قَلَّ ذَلَّ، ومَنْ أَمِرَ فَلَّ**(٤)**، وخيْرُ الغِنَى القَنَاعَةُ، وشَرٌّ الفَقْرِ الضَّرَاعَةُ، والدَّهْرُ يومان، فيَوْمٌ لكَ ويَوْمٌ عَلَيْكَ، فإذا كان لكَ فلا تَبْطَرْ، وإذا كان عليْكَ فاصْبِرْ، فكلاهُما سيَنْحَسِرُ، فإنَّمَا تَعِزُّ مَنْ تَرَى، ويَعِزُّكَ مَنْ لا ترى، ولوْ كَانَ المَوْتُ يُشْتَرَى لَسَلِمَ مِنْهُ أهْلُ**

==

وصحاح العربية (٤/ ١٦٣٤)، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

(١) **التبلد:** نقيض التَّجَلُّدِ، وهو من الاستِكانة والخُضوع. العين (٨/ ٤٣).

(٢) **الْمُشْتَف:** شفّ المَاء يشُفُه شَفّا، أي: تقصى شربه. المحكم والمحيط الأعظم (٧/ ٦٢٢)، لأبي الحسن علي ابن إسماعيل بن سيده (ت: ٤٥٨هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

(٣) **الْمُقْتَف:** اقتفى الشيء: اتبعه. معجم متن اللغة (٤/ ٦٢٥)، لأحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)، الناشر: دار مكتبة الحياة – بيروت، ١٣٧٩هـ – ١٩٦٠م.

(٤) **أَمِرَ فَلَّ:** أَمِرَ يعني: كَثُرَ وقوله: فَلَّ يعني: إنّه يغلب من ناوأه ويفله بالكثرة والعز. الأمثال لابن سلام (ص: ٩٤)، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، المحقق: الدكتور عبد المجيد قطامش، الناشر: دار المأمون للتراث، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م.

الدُّنْيا، ولكنَّ النَّاسَ فيه مُسْتَوُون، الشَّريفُ الأَبْلَجِ(١) واللَّئيمُ المُعَلْهِجِ(٢)، والمَوْتُ المُفِيتُ، خيْرٌ مِنْ أنْ يُقَالَ لك هَبِيتَ، وكيفَ بالسلامةِ، لمَنْ ليْسَتْ له إقامَةٌ، وشَرٌّ مِنَ المُصِيبَةِ سوءُ الخَلَفِ، وكُلُّ مَجْمُوعٍ إِلَى تَلَفٍ، حيَّاكَ إِلَهُكَ!(٣)".

فذاك هو نص وصية الأوس بن حارثة، وهذا هو التحليل البلاغي.

يقول راوي الوصية: **(عاش الأوسُ بن حارثة دهرًا وليس له ولد إلا مالك، وكان لأخيه الخزرج خمسة: عمرو وعوف وجشم والحارث وكعب).**

التحليل البلاغي:

استهل راوي الوصية روايته بالفعل **(عاش)** الدال على زمن الماضي، أي: إن تلك الرواية التي يرويها انتهى زمنها، وأصبحت أحاديث تُروى، وليست في وقت الحكاية، وقد دلّ على تحقق الحصول، واستهلاله بالفعل **(عاش)** أسلوب خبري خالٍ من التأكيدات، مما يدل على

---

(١) **الأبلج:** رجلٌ أَبلَجُ طليقٌ الوجهِ بالمعروف، ورجلٌ أَبلَجُ أي طلق، وأبلجت الشمس إبلاجًا، أنارت وأضاءت. وأبلجَ الحقُّ فهو مُبلِجٌ أبلجُ. [العين-للخليل تـ١٧٠هـ:٦/ ١٣٣-بلج].

(٢) **المعلهج:** عَلْهَج: الرجل الأحمقُ المَذِر اللئيم الحَسَب المُعجب بنفسه. [العين :٢/ ٢٧٧-علهج].

(٣) أوردها أبو علي القالي عن طريق، أبو بكر بن دريد، قال: حدثني عمى، عن أبيه، عن هشام بن محمد الكلبى، عن عبد الرحمن بن أبى عبس الأنصاري، وأوردها أبو هلال العسكري عن طريق، أبو القاسم بن شيران قال: حدثنا عبد الرحمن بن جعفر قال: حدثنا الغلابي قال: حدثنا عبد الله بن الضحاك ومهدى بن سابق قالا: حدثنا هشام قال: حدثني عبد المجيد بن أبى عبس عن أبيه.

أن المستمع غير منكر لتلك الرواية، وربما لم يسمع بها من قبل، ثم ذكر صاحب العيشة، وهو: الأوس بن حارثة، ثم اختار الراوي من بين الألفاظ التي تعبر عن الزمن لفظة **(دهرًا**[1]**)**، والتي تدلُّ على الغلبة والقهر، مما يدل على أن حياة الأوس لم تكن الحياة السهلة، أو كان يعيش في ترفٍ وسعةٍ من العيش؛ وحتى يلائم بين الألفاظ، فالفعل **(عاش)** يتطلب حركة وسعيًا وتقلُّبًا في الحياة لكسب ما يُعاش به، و**(دهرًا)** تدل على الغلبة والقهر، وهذا من باب موافقة المباني للمعاني.

وجملة **(وليس له ولد إلا مالك)** جملة حالية لأوس بن حارثة، والأشيع استعمال الواو كما أشار الإمام عبد القاهر الجرجاني في دلائله قائلًا: "ومما يجيء بالواو في الأكثر الأشيع، ثم يأتي في مواضع بغير "الواو" فيلطف مكانه ويدل على البلاغة، الجملة قد دخلها ليس"[2]، فقد استعمل راوي الوصية المعروف الأشيع، في الإتيان (بالواو) مع ليس؛ وذلك لأن حال الأوس كان معلومًا لدى قومه، فجاء بما يتناسب مع حاله ومكانته.

ثم استعان الراوي بأسلوب القصر في بناء الجملة الثانية في قوله: **(وليس له ولد إلا مالك)**؛ ليخصص المقصور عليه **(مالك)**؛ لأنه المذكور

---

(1) **(دهرًا)** الدال والهاء والراء أصل واحد، وهو الغلبة والقهر، وسمي الدهر دهرًا ؛ لأنه يأتي على كل شيء ويغلبه. ينظر: [مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس ت٣٩٥هـ:٢/ ٣٠٥- دهر]، تحقيق: عبد السلام محمد هارون- دار الفكر- ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(2) دلائل الإعجاز- لعبد القاهر الجرجاني (المتوفي سنة ٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ)، (ص:٢١٠)، قرأه وعلق عليه: أبو فهر، محمود محمد شاكر، الناشر: مطبعة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٤م.

بعد أداة الاستثناء[١]؛ وذلك لإفادة التخصيص؛ لأن القصر بالنفي والاستثناء يكون في الشيء الذي يُنكره المخاطب ويشك فيه[٢]، والداعي إلى ذلك الإنكار من المتلقي هو: أن قبيلتي الأوس والخزرج من الكثرة والعدد لهما مكانتهما، فيظن المتلقي للخبر من الراوي، أن الأوسَ بن حارثة كان له العديد من الأولاد كأخيه الخزرج، فاستعمل طريق النفي والاستثناء ليزيل تلك الشبهة، فأنزل الراوي المستمعين منزلة المنكر للأمر؛ وذلك لأن الأوس كان من المعمرين، فكان ذلك مظنة أن يكون له الكثير من الأولاد.

ثم جاء الراوي بأسلوب القصر عن طريق الاستثناء وأثبت أن له **(مالكًا)**، وكأنه تأكيد على تأكيد؛ ليزيل أي وهم قد يكون معلقًا بذهن السامع؛ وذلك ليمهد لبناء الخبر الذي سيلقيه عليهم؛ لأن الأمر إذا جاء بعد توطئة وتمهيد، ليس كمجيئه غُفْلًا، كقول عبد القاهر الجرجاني: " وجملة الأمر أنه ليس إعلامك الشيء بغتة غفلًا، مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له؛ لأن ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام في التأكيد والإحكام، ومن ههنا قالوا: إن الشيء إذا أضمر ثم فسر، كان ذلك أفخم له من أن يذكر من غير تقدمة إضمار[٣]".

فتقديم الراوي للخبر في قوله: "ليس له ولد" فقد قدم خبر ليس **(له)** على اسمها **(ولد)** قد زاد من فخامة التعبير وزاد من شرفه؛ لاشتمال

---

(١) في طريق النفي والاستثناء يؤخر المقصور عليه. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة (٣/ ٤٠).

(٢) ينظر: دلائل الاعجاز، (ص:٣٣٢).

(٣) دلائل الإعجاز، (ص: ١٣٢).

الخبر على ضمير القصة، وقد أشار الإمام عبد القاهر الجرجاني إلى هذا بقوله: " وكذلك السبيل أبدًا في كل كلام كان فيه ضمير قصة، فقوله تعالى: ﴿**إنه لا يفلح الكافرون**[1]﴾، يفيد من القوة في نفي الفلاح عن الكافرين، ما لو قيل: "إن الكافرين لا يفلحون"، لم يستفد ذلك، ولم يكن ذلك كذلك إلا أنك تعلمه إياه من بعد تقدمة وتنبيه، أنت به في حكم من بدأ وأعاد ووطد، ثم بنى ولوح ثم صرح، ولا يخفى مكان المزية فيما طريقه هذا الطريق[2].

ثم وصل بين جملة **(ليس له ولد إلا مالك)** وجملة **(وكان لأخيه الخزرج خمسة)**، وذلك للتوسط بين الكمالين؛ وذلك لاختلاف الجملتين خبرًا وإنشاءً لفظًا ومعنى، ثم جاء بهذا اللون البديعي الذي أشاع لوناً من الترتيب في تنبيه المخاطب على الأحداث التي جرت، وحال الأوس صاحب الوصية، وكل ذلك ليجعل المتلقي في حالة تأهب لسماع الوصية بعد كل تلك التمهيدات، وهذا اللون هو الجمع مع التقسيم[3]، حيث جمع أولاد الخزرج في قوله: **(خمسة)**، ثم قسَّمَهم إلى: عمرو، وعوف، وجشم، والحارث، وكعب؛ وذلك ليصنع المفارقة بين الأخوين في ذهن المتلقي.

ثمّ أدخل راوي الوصية السامعَ في جوِّ الحدث، فيقول: **(فلمّا حضره الموت)**، فعطف بالفاء، والتي كما يقول الدكتور محمد أمين الخضري:"

---

(١) سورة المؤمنون، من الآية رقم (١١٧).

(٢) دلائل الاعجاز (ص: ١٣٣).

(٣) ينظر: الإيضاح ضمن البغية-للقزويني-تأليف الشيخ عبد المتعال الصعيدي (٤/ ٦٠٥)- مكتبة الآداب، الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

تضمر في أحشائها- يقصد الفاء- صفحة الزمن حينًا، وتمُطُّها حينًا آخر، وتنشر ألوانًا من الترتيب بين الألفاظ والمعاني غير ما عُهِد فيها، وتقلب أوضاع الكلِمْ لتعكس لك انقلاب الأوضاع في الواقع[١]"، حيث اختزل الراوي الفترة الزمنية بين حال الأوس بن حارثة في حال المعيشة دهرًا، والحال التي هو عليها الآن، وهي حضور الموت، ونشر الراوي باستعماله **(الفاء)** في العطف ترتيبًا للأحداث، أي: إن الأوس عاش دهرًا من الزمن، ولم يكن له ولد إلا مالك، وبعد ذلك حضرته الوفاة.

ثم بدأ بـــ **(لَمّا)**، وإذا وَلِيَ "لَمَّا" فعلٌ ماض لفظًا ومعنى فهي ظرف بمعنى "إذ" فيه معنى الشرط، أو حرفٌ يقتضي فيما مضى وجوبًا لوجوب، وجوابها فعل ماض لفظًا ومعنى[٢].

ثم استعار للموت الحضور على سبيل الاستعارة المكنية، حيث شبه الموت بإنسان، ثم حذف المشبه به وهو الإنسان، وأبقى ما يدل عليه وهو الحضور، وفي إثبات الحضور للموت استعارة تخيلية[٣]، حيث جعل كل مستمع يضرب بخياله صورة لحضور الموت، وبمجرد حضور الموت لأوس ابن حارثة، قال له قومه على سبيل العتاب والتأنيب، وجاء هذا القول عن طريق جواب الشرط الذي تضمنته **(لَمّا)**، بالفعل الماضي في

---

(١) أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم " الفاء ، و ثم" (صـــــ١٠)، تـــأليف: د: محمد أمين الخضري، مكتبة وهبة ط: الأولى (١٤١٤ه/ ١٩٩٣م).

(٢) ينظر: شرح تسهيل الفوائد، لمحمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي تـــــ ٦٧٢هـــــ (٤/ ١٠١)، تحقيق: د/ عبد الرحمن السيد، د/ محمد بـــدوي المختـــون- هجـــر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان-ط١ -١٤١٠هـــ - ١٩٩٠م.

(٣) ينظر: بغية الايضاح (٣/٥٢٠).

قوله: **(قال له قومُه)**.

وفي قوله: **(قومه)** دون أهله، أن الرجال من القوم هم الذين قد قالوا لأوس بن حارثة: **(قد كنا نأمرك بالتزويج فِي شبابٍ منك فلم تزوج حتى حضرك الموت)**؛ وذلك لأن الرجال من القوم هم الذين يحبون النسل الكثير، ولم يقل أهله؛ لأن الأهل يتضمن الزوجة، ولا تجد زوجة تحب أن يتزوج زوجها، وخاصة إن كان له مكانة في قومه.

وفي افتتاحهم قولهم بـــ **(قد)** التحقيقية تأكيد، والتوكيد هنا جاء على خلاف مقتضى الظاهر، حيث إن المخاطب وهو الأوس بن حارثة غير منكر لقولهم، وقد أنزلوه منزلة المنكر لقولهم، وفي هذا دلالة على أن الأوس كان رافضًا لفكرة الزواج التي حدثوه عنها؛ ولهذا جاء الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، وكأنهم يعاتبونه على عدم زواجه بأخرى ليكثر النسل، وفي قولهم: **(نأمرك)** دلالة على الإلزام والتشديد الذي كانوا يحدثونه به، والرفض القاطع من الأوس للفكرة، وفي استعمالهم للفعل **(كان)** الناقص دلالة على نقص المطلوب، وهو أنه لم يلتزم بما كانوا يأمرونه به.

(في شبابٍ منك) واستعمل قومه حرف الجر **(في)** الدال على الظرفية مكانية كانت أو زمانية، واستعمالها للظرف الزماني هنا أوضح، أي: إنه وقت أن كنت شابًا، وهذا على حقيقة معنى **(في)**، أما سيبويه فقد قال عنها: " أما "**في**" فهي للوعاء، تقول: هو في الجراب، وفي الكيس، وهو في بطن أمه، وكذلك: هو في الغلّ؛ لأنه جعله إذ أدخله فيه كالوعاء له، وكذلك: هو في القبة، وفي الدار، وإن اتسعت في الكلام فهي على

هذا، وإنما تكون كالمثل يجاء به يقارب الشيء وليس مثله[١]".

وعلى هذا المعنى الذي قال به سيبويه، فإن كلمة **(في)** استعارة حيث استعار معناها وهو الوعاء وأعاره للشباب، وكأن الشباب كان وعاءً لأوس ابن حارثة يلفه لفًّا، وفي قوله: **(شبابٍ منك)** أي: أنك كنت في بداية الحداثة وسن الشباب؛ لأن **(من)** تكون لابتداء الحدث[٢]، ثم أعقب القوم كلامهم بأنه لم يخضع لما كانوا ينصحونه به، فجاء الجواب مصدرًا بالفاء العاطفة **(فلم تزوج حتى حضرك الموت)**، فالفاء الدالة على الترتيب وقد أضمرت في نفسها الزمن بين زمن هذا الكلام، وبين العاقبة التي أصبح عليها، وهي أن الموت قد حضره، وفي اختيارهم لـ **(حتى)** فضيلة، أنها بمعنى (الحتّ) أي: تفيد تقَضِّي الفعل قبلها شيئًا فشيئًا إلى الغاية – وهذا معنى الحت[٣]، وكأن القوم كلما انقضى من عمر الأوس شيئًا ذكّروه بأنه من الواجب عليه أن يتزوج، وباستعمالهم **(حتى)** التي لا تتطلب ابتداء غاية[٤]؛ وذلك لضعفها في الغاية، أي: إنهم قد أيقنوا من عدم قبوله

---

(١) الكتاب، لعمرو بن عثمان بن قنبر –الملقب سيبويه تـ١٨٠هـ (٤/ ٢٢٦)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون– مكتبة الخانجي، القاهرة، –ط٣– ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

(٢) ينظر: معاني النحو –د/ فاضل صالح السامرائي، (٣/ ٧٦) – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن، ط١– ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م.

(٣) ينظر: معاني النحو (٣٦/٣).

(٤) اعلم أن "حَتَّى" من عوامل الأسماء الخافضة، وهي حرف كاللام لا تكون إلَّا حرفًا، ومعناها منتهى ابتداء الغاية بمنزلةِ "إلى"؛ ولذلك ذكرها بعدها، إلَّا أنّ "حَتَّى" تُدْخِل الثاني فيما دخل فيه الأول من المعنى، ويكون ما بعدها جزءًا مما قبلها، ينتهي الأمرُ به. ينظر: شرح المفصل للزمخشري–لابن يعيش تـ ٦٤٣هـ (٤/ ==

للزواج، والدليل أن الموت قد حضره بعد تقضِّي العمر.

وقد استعانوا على بيان مرادهم ببراعتهم في استعمال حروف المعاني، فحرف الجر **(في)** التي هي كالوعاء والظرفية جعلت من الشباب كأنه قُبَّة مضروبة على الأوس تلفه لفًا، ثم جاءوا بحرف العطف الذي يدل على التعقيب، أي: كلما رأوا الشباب ينقضي شيئًا أعقبوه بإلحاح منهم على تزويجه، وقد استُنبط هذا المعنى من مجموع حروف المعاني جملة.

ووجه آخر لقولهم: **(في شبابٍ منك)** أنهم قد انتزعوا من الأوس المريض الذي حضره الموت، أوسًا آخر على طريقة التجريد[1] في شبابه وفتوته، وكأنهم يستحضرون حالتهم حال النصيحة بالزواج، ليستحضروا شبابه، فيكون ذلك أدعى لتذكر الأوس مقالتهم وقت النصيحة بالزواج، وكأنهم يدللون على قولهم بالدليل الذي لا يستطيع الأوس ردَّه، وفي استعمالهم طريق التجريد لون من ألوان المبالغة، والذي دل على أنهم أكثروا من حضِّه على الزواج ليكثر النسل، وفي هذا دلالة على أن الأوس كان ذا مكانة بين قومه.

(فقَالَ الأوس: لم يهلك هالك، ترك مثل مالك)، الفاءُ ثانيةً، تثبت أن

==

٤٦٥)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب- دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان- ط١- ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

(١) من أنواع البديع: التجريد، وهو عبارة عن أن ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله في تلك الصفة على سبيل المبالغة في كمال الصفة فيه. ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح- لبهاء الدين السبكي تـ ٧٧٣ هـ (٢/ ٢٥٦) تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي- المكتبة العصرية للطباعة والنشر- بيروت – لبنان- ط١ - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

الحوار بين الأوس وقومه كان متعاقبًا، أي: إن ردّ الأوس عليهم كان عقب تذكيرهم بما أمروه به من قبل، وكان رده مضربًا لكل مثل، **(لم يهلك هالك)**، فقد جانس الأوس أولًا بين قوله: **(يهلك، هالك)**، جناسًا ناقصًا[١]، وعلل القزويني على حسن هذا النوع من الجناس بقوله: "ووجه حسنه أنك تتوهم قبل أن يرد عليك آخر الكلمة أنها هي التي مضت، وإنما أُتِي بها للتأكيد، حتى إذا تمكن آخرها في نفسك، ووعاه سمعك، انصرف عنك ذلك التوهم، وفي هذا حصول الفائدة بعد أن يخالطك اليأس منها[٢]"، والقصد من هذا الجناس هو توفية المعنى حقه، وليجعله أحد طرفي السجع الذي جاء بتمام الجملة الثانية، وهي **(ترك مثل مالك)**.

وفي نفيه بـــ**(لم)** فضيلة؛ لأن **(لم)** حرف نفي وجزم وقلب، إنه ينفي حدوث الفعل المضارع ويجزمه ويقلب معناه من الحال إلى الماضي[٣]، أي: إن المعنى المراد بعد حرف الجزم ليس على المضارعة، وإنما المعنى: ما هلك هالك؛ لأن **(لم)** قلبت معنى الفعل المضارع إلى الماضي، فلن يزول مجد الإنسان إذا خلف ولدًا عظيمًا كمالك ولده، وإنما يزول مجد من أخلف كثيرًا لا قيمة لهم، وفي إسناد الفعل **(يهلك)** إلى **(هالك)**

---

(١) ينظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، -لابن أبـــي الإصبع تـــ ٦٥٤هـــ (ص: ١٠٧)، تحقيق: الدكتور حفنـــي محمـــد شـــرف- الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنـــة إحيـــاء التراث الإسلامي- لاط- من دون.

(٢) الإيضاح ضمن البغية (٤/٦٤٤).

(٣) ينظر: أدوات الإعراب، لظاهر شوكت البياتي، (ص: ٢٠٩)- مجـــد المؤسســـة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيـــع- بيـــروت - لبنـــان-ط١- ١٤٢٥هـــ - ٢٠٠٥م.

مجازٌ عقلي علاقته المفعولية، والتقدير: لم يهلك مهلوك، وقد عدّه أصحاب الشروح من قبيل الحقيقة[١] وقد رجح البحث المجاز العقلي في قول الأوس: "**لم يهلك هالك**" لإسناده إلى اسم الفاعل، فلا يكون مثل قولهم: "مات محمد"، فالمجاز لم يأت من المعنى القائم بالفعل (هلك)، كما أشار العلماء إلى المعنى القائم بالفعل (مات) وإسناده إلى الفاعل، وإنما ظهر المجاز بإسناده إلى اسم الفاعل، فبين قصد الأوس في بناء الجملة على المجاز؛ وذلك لوجود البدائل التي يمكن بناء الجملة عليها إذا كان مراد الأوس بناءها على الحقيقة، كأن يقول: "لم يهلك أبٌ" أو "لم يهلك رجل".

ثم جانس جناسًا مضارعًا في قوله: (**هالك – مالك**)، فالخطيب القزويني يسميه "الجناس الناقص" المضارع[٢]، وفائدة الجناس وقد ساوى بين الجملتين المسجوعتين[٣]، وهو أشرف أنواع السجع للاعتدال الذي فيه، وهو ما تساوت فقراته في عدد الكلمات [٤].

---

(١) ينظر: المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، للعلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني تـ ٧٩٢هـ (ص: ٢٠٣)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي- دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان- ط٢- ١٤٢٨ه/ ٢٠٠٧م.

(٢) إن اختلفت الكلمتان في أنواع الحروف اشتُرط ألا يقع الاختلاف بأكثر من حرف، ثم الحرفان المختلفان إن كانا متقاربين سمي الجناس مضارعًا، ويكونان إما في الأول كقول الأوس هذا. ينظر: الإيضاح ضمن البغية (٤/ ٦٤٥).

(٣) ينظر: كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري تـ٣٩٥هـ (ص: ٢٦٢)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم- المكتبة العنصرية – بيروت- ١٤١٩هـ.

(٤) علم البديع- لعبد العزيز عتيق(ص:٢٢٠) دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان-لاط-من دون.

ثم قال الأوس لقومه تدليلًا على حبه لمالك بعد أن جعله أصلًا لكل حمى ونصرة:" **لم يهلك هالك ترك مثل مالك**"، حيث جعل مالك هو المشبه به، وكل ما سواه مشبهًا، أي: لم يهلك مَن كُتِب عليه الهلاك، وحُمّ به القضاء، وتاهت من بين يديه كل سبل النجاة، مَنْ ترك مثل مالك ولده، وكأنه قد اجتمع فيه كل خصال الخير والمنعة.

وفي اختياره **(مثل)** لإفادة التشبيه فضيلة، وقد فند أبو يعقوب المغربي آراء العلماء في الفرق بين أدوات التشبيه، ذاكرًا أن البيانيين لم يحرروا معنى هذه الأدوات، وظاهر كلامهم أن معناها واحد، ثم ذكر ما لـــ (مثل) من فضيلة باستعمالها في التشبيه، فيقول: "إن الكاف وكأن وكذلك مثل، للتشبيه في أي شيء كان، لا تختص بنوع دون آخر[١]".

فاستعمل (مثل) لتدل على المشابهة في أي صفة من صفات ولده مالك، فمن اتصف ولده بأي صفة كانت من صفات مالك، فلن يزول له عز، ولن ينْقَضِ له ذكر، وكأن الاتصاف بصفة واحدة من مالك بها تكون النجاة من التهلكة.

وفصل بين جملة **(لم يهلك هالك)**، وجملة **(ترك مثل مالك)**؛ لشبه كمال الاتصال، وكأن سائلًا سأل الأوسَ لماذا لا يهلك؟ وكان الجواب؛ لأنه ترك ولدًا مثل مالك، وقد أشار العلامة الدسوقي إلى هذا قائلًا: "إن وقوع الجملة جوابًا لسؤال اقتضته الأولى موجب للفصل وهو كذلك؛ لأن السؤال والجواب إن نظر إلى معنييهما فبينهما شبه كمال الاتصال...، وإن نظر إلى لفظيهما فبينهما كمال الانقطاع؛ لكون السؤال إنشاء والجواب

(١) ينظر: عروس الأفراح (٢/٧٤).

خبرًا[1]".

ثمّ وصل بين الجُمَل بقوله: **(وإن كان الخزرج ذا عدد وليس لمالك ولد)**، حيث إن الجملتين مختلفتان لفظًا ومعنى، وليس بينهما ما يجمعهما، ولعدم وجود الجامع بينها وبين الجملة التي تليها، وجب الوصل بالواو؛ وذلك للتوسط بين حالتي الكمال -الاتصال والانفصال-، واختلاف الجملتان لفظًا ومعنى.

(وإن كان الخزرج ذا عدد)، أولًا علّق مجموع الكلام على الشرط، فإن الشرطية التي تأتي في الأمر غير المقطوع بوقوعه، فيها من الشكّ الذي كان بقلب الأوس بن حارثة، ولذلك كان جواب الشرط الدعاء لولده مالك بكثرة الولد مستعملًا **(لعل)** في غير معناها الذي وضعت له، راجيًا ألا يدوم هذا الأمر طويلًا، بأن يكثر النسل من مالك، ثمّ عرّف الخزرج بـــ **(أل)** التي يراد بها العهد الذهني، أي: إن الخزرج أخوه معهود ومعروف بين أفراد القبيلة، وكأنه يشير إلى أن الأوس سيكون كثيرًا، كما أن جنس الخزرج كثير، وعبّر بالخزرج دون أن يقول: أخي الخزرج، دلالة منه على أن أخاه سيكون رأس قبيلة بذاته، وإليه سيُنْسَب قبيلة الخزرج، وكأنه كان يستقرِئ الغد، ولا يمكن أن يكون ذكره لاسم أخيه الخزرج، مبالغة في نفي كثرة لا قيمة لها، لأن التاريخ قد قص ما للخزرج من مكانة وفضل، وأن الأخوين كانا على درجة من السيادة ظل الأبناء والأحفاد يتنازعونها حتى آخى بينهم رسول الله – صلى الله عليه

---

(1) ينظر: حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني، لمحمد بن عرفة الدسوقي، (٢/ ٥٠٤)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي- المكتبة العصرية- بيروت- ط ١- ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

وسلم -.

ثم طابق بين **(كان)** التي تفيد أن الحدث مقطوع الوقوع في الزمن الماضي[١]، وبين **(ليس)** التي نفت وقوع الحدث في نفس الزمن، وهو من قبيل طباق الإيجاب بين فعلين ناقصين، وترى الطباق المعنوي بين عموم الجملة الأولى (**الخزرج ذا عدد)**، والجملة الثانية (**ليس لمالك ولد)**، ويطلق عليه طباق السلب، حيث إنه أثبت للخزرج العدد الكثير من الأولاد، ونفاه عن مالك.

ووصل بين الجملتين؛ لاختلافهما لفظًا ومعنى، والداعي إلى ذلك الوصل التوسط بين الكمالين؛ لعدم وجود الجامع بينهما، ثم ساوى بين الجمل؛ ليكون سجعه متوازنًا ومتعادلًا، والفاصلة متفقة في الجملتين، ليكون وقعه على السمع أقوى، فيستطيع أن يؤثر في المتلقي.

ثم أخرج الترجي بـــ **(لعل)** من معناه الأصلي إلى معنى مجازي وهو الدعاء، وجعله جوابًا للشرط في قوله: **(فلعل الذى استخرج العذق من الجريمة، والنار من الوثيمة، أن يجعل لمالك نَسْلًا، ورجالًا بُسْلًا)** فاستعان أولًا بالفاء للربط بين الشرط وجوابه، وفي هذا المعنى يقول ابن يعيش: "الشرط والجزاء لا يصحّان إلَّا بالأفعال، أمّا الشرط فلأنّه علّةٌ وسببٌ لوجود الثاني، والأسبابُ لا تكون بالجوامد، إنما تكون بالأعراض والأفعال، وأمّا الجزاءُ، فأصلُه أن يكون بالفعل- أيضًا- لأنه شيءٌ موقوفٌ دخولُه في الوجود على دخول شرطه، والأفعالُ هي التي تحدُث وتنقضي، ويتوقف وجودُ بعضها على وجود بعض، لا سيّما والفعلُ مجزومٌ؛ لأن المجزوم لا يكون إلَّا مرتبطًا بما قبله، ولا يصحّ الابتداءُ به

---

(١) ينظر: معاني النحو (١/ ٢١٠).

من غير تقدُّم حرف الجزم عليه.

وأمّا إذا كان الجزاء بشيء يصلح الابتداءُ به، كالأمر والنهي والابتداء والخبرِ، فكأنّه لا يرتبط بما قبله، وربمّا آذن بأنّه كلام مستأنَف غير جزاء لما قبله، فإنّه حينئذ يفتقر إلى ما يربطه بما قبله، فأتوا بالفاء؛ لأنها تفيد الاتّباعَ، وتُؤذِن بأنّ ما بعدها مسبَّب عمّا قبلها؛ إذ ليس في حروف العطف حرفٌ يوجَد فيه هذا المعنى سوى الفاء، فلذلك خصّوها من بين حروف العطف[١]".

فتوجُّه الأوس بن حارثة، والتفاته من الكلام على المفارقة بين الخزرج صاحب العدد الكثير من الأولاد، إلى الترجي الذي يحتمل معنى الدعاء، وكأنه إيذان باستئناف كلام جديد، وهو الدعاء لمالك ولده بأن يرزقه العديد من الأولاد، وقد أظهر باستعماله **(لعل)** الشفقة على ولده مالك، والطمع في حصول المرجوّ من المرجوّ منه.

ثم عرف أعرف المعارف وهو: **(الله)** بالاسم الموصول **(الذي)**، وتعريفه بالاسم الموصول فيه من اللطائف التي وردت عن الإمام عبد القاهر الجرجاني في دلائله، فيقول: " اعْلَمْ أنَّ لك في "الذي" عِلمًا كثيرًا وأسرارًا جمة وخفايا، إذا بحثْتَ عنها وتصوَّرْتَها، أطَّلَعْتَ على فوائدَ تُؤنِسُ النفسَ، وتُثلِجُ الصدرَ، بما يُفْضي بكَ إليه من اليقين، ويُؤدِّيه إليك من حُسْن التبيين [٢]".

ومن جملة هذا العلم وتلك الأسرار الجمّة، والخفايا التي تفيد النفوس وتؤنسها، أنها وُصْلَة لوصف المعارف بالجمل، فلا يمكن أن يوصف

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش (٥/ ١١١).

(٢) دلائل الإعجاز (ص: ١٩٩).

معرفة بجملة إلا عن طريق الاسم الموصول، ومن الخفايا في التعريف بالاسم الموصول –أيضًا– ما قاله الإمام عبد القاهر الجرجاني: "إنك لا تصل **(الذي)** إلا بجملة من الكلام قد سبق من السامع علم بها، وأمر قد عرفه له... ويؤتى بعد **(الذي)** بالجملة غير المعلومة للسامع؛ وذلك حيث يكون **(الذي)** خبرًا"، كقولك: "هذا الذي كان عندك بالأمس" ، و"هذا الذي قدم رسولًا من الحضرة، أنت في هذا وشبهه تعلم المخاطب أمرًا لم يسبق له به علم، وتفيده في المشار إليه شيئًا لم يكن عنده، ولو لم يكن كذلك، لم يكن **(الذي)** خبرًا، إذ كان لا يكون الشيء خبرًا حتى يفاد به[١]".

فالأوس جاء بـــ **(الذي)**؛ ليحسن بها الوصل بين جملة الشرط، وليمهد للاستئناف إلى كلام جديد، وهو الدعاء لمالك ولده عن طريق الترجي، الذي خرج من الترجي إلى الدعاء.

(لعل الذي أخرج العذق[٢] من الجريمة[٣])، فقد استعان بالمجاز المرسل في قوله: **(العذق)**، حيث إن العذق هو الشمراخ من شماريخ النخلة، وقد استعمله للدلالة على النخلة كاملة، ففيه مجاز مرسل علاقته الجزئية، حيث استعمل الجزء وأراد به الكل، وكذلك تعامل مع الكلمة الثانية من السجعة، وهي قوله: **(الجريمة)** ولكنه عكس المجاز المرسل في تلك الحال، الجريمة هي الرطب اليابس، ولكنه أراد النواة، فأطلق الكل وأراد به الجزء، فعلاقته الكلية، وفي قوله : **(والنار من الوثيمة)**، أي: إنه

---

(١) دلائل الإعجاز (ص: ٢٠٠).

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة– لأحمد بن فارس تـــ٣٩٥هـــ (٤/ ٢٥٧) تحقيق: عبد السلام محمد هارون– دار الفكر– ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(٣) **الجرام والجريم**: التمر اليابس. مقاييس اللغة (١/ ٤٤٥).

أخرجها من الحجر، وكل تلك المجازات المرسلة في الجملة، **كناية** عن صفة طلاقة القُدرة الإلهية، وقد أصبحت تلك الكنايات مما يُقْسَم به عند العرب[1]، وإذا أسقطنا تلك الكناية على مالك ، فإن مالكًا هو الجريمة، ونسله يكون العذق، والوثيمة وهي الحجر، تكون دلالة على مالك، والنار تكون دلالة على خَلَفِه، واستعمل الحكمة الثانية في قوله:(**النار من الوثيمة**)؛ لدلالة سرعة الانتشار، وكأنه يشير إلى أن أمر انتشار أبناء مالك سريع، كسرعة انتشار النار بعد استخراجها من الحجر الساكن.

وفي تصدير قوله: (**أن يجعل لمالك نسلًا ورجالًا بُسْلًا**) بـــ (**أنْ**) المصدرية المخففة، معنى من معاني التعليل[2]، وكأنه دعاؤه الذي يرجوه الأوس لولده مالك، أن يكون كثير الولد، ويمتازوا بالبسالة.

ثم جاء بالفعل (**يجعل**) الذي يشتمل على معانٍ كثيرة لم تحددها المعاجم العربية، منها الصنع، والتصيير، وغيرها، وكل تلك المعاني خادمة للمعنى الذي أراده الأوس، وكأنه أراد بهذا الفعل كل المعاني التي يحتملها، وهي أن يصير لمالك ولده أبناء بعد صرم وجدب، وأن يكونوا كُثَّر، ثم جاء بـــ(لام) الملكية، والتي قوّت معنى التعليل الذي تحتمله (**أنْ**) المصدرية الناصبة للفعل (**يجعل**).

(**لمالك نسلًا**)، كناية عن الكثرة والعدد، وفي قوله: (**ورجالًا بُسْلًا**) كناية عن صفة الشجاعة، وقد حافظ الأوس على السجع بين كل جملة، وما بين (**نسلًا وبسلًا**) من جناس ناقص، وقد أتى بما يتناسب مع الحالة

---

(1) العرب تقسم بهذا الكلام فتقول: لا والذى أخرج العذق من الجريمة، والنار من الوثيمة. ينظر: أمالي القالي (١/ ١٠٢).

(2) معاني النحو (١٣٥/٣).

التي عليها الأوس من حضور الموت وظهور علاماته، فكلها جاءت عفو الخاطر دون تكلف في استعمالها، فلاقت القبول لدى السامع، وأخذت من قلبه موقعها.

ثم التفت من الغائب للمخاطب، وفي الالتفات فضيلة وهي: "أن يكون المتكلم آخذاً في معنى فيمر فيه إلى أن يفرغ من التعبير عنه على وجه ما، فيعرض له أنه متى اقتصر على هذا المقدار كان معناه مدخولاً من وجه غير الوجه الذي بنى معناه عليه فيلتفت إلى الكلام، فيزيد فيه ما يخلص معناه من ذلك الدَّخَل[١]"، فبعد هذا الدعاء والثقة المطلقة في ولده مالك، التفت إليه ليخصه بالكلام، ويزيده بما يخلص معناه إلى قلبه.

فيقول: **(يا مالك)** فاستعمل حرف النداء الدال على البُعد؛ فأخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر؛ وذلك لينزل ابنه منزلة بعيدة المنال، وكيف لا؟ وهو عنده الأصل لكل مثال، والجامع لفضائل الخصال، والمتمم لأوس ابن حارثة كمال الرحل والرحال، فأنشأ جملته قاصدًا بذلك إخباره من أول الأمر، أنه بعيد المنزلة، رفيع المقام، قوي البنيان، **(يا مالك)**، ولم يقل: (يا بني) بنعته.

لم يقُلْ **(يا بني)**، على العطف والشفقة والرحمة الذي يكتنف الكلمة، ويُقرِّب الصلة بين الأب وولده، وتضفي لونًا من العناية والاهتمام من الأوس لابنه مالك، إلا أنها لا تتناسب وهذا المقام، فلو قال: **(يا بُني)** فإنها تحتمل معنى من معاني الرعاية والاحتياج، وكأن مالكًا لا يزال يحتاج إلى أبيه ليقوم على شئونه وتدبير أمره، وليس الأمر كذلك، إنما قال: **(يا مالك)** باسمه؛ لأن مالكًا قد تمَّ عهد صباه، واستوى عوده، وعمّا قليلٍ

---

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر (ص: ١٢٥).

سيصبح رأس قبيلة من أكثر القبائل تأثيرًا في تاريخ العرب، إنهم الأوس.

فسيكون منهم بعد ذلك حنظلة غسيل الملائكة، وابنه عبد الله بن حنظلة، قتل يوم الحرة، وهو على الأنصار، ومنهم كلثوم بن الهدم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد، الذي نزل عليه النبي ﷺ حين قدم المدينة[1]، فلا يتناسب مع المقام قوله : **(يا بني)**، وإنما هي المسئولية يلقيها الأب على عاتق ولده الأوحد، وكأنه يُقَلِّدُه مقاليد الأمور، ثم شرع الأوس بن حارثة في وصيته.

تلك هي الْمُثُل العُلْيا، تلك هي الدعائم الأساسية التي سار على نهجها الأوس، تلك هي الشريعة والمنهاج الذي انتهجه الأوس حتى صاروا بعدُ أنصار رسول الله ﷺ.

إنها ليست وصية بل قوانين، ولزامًا على الأبناء أن يتتبعوا أثر الآباء، إنها الإرث الذي رفع قبيلة الأوس وكان لها ما قصه التاريخ.

ولنتعرف على تلك الأسس التي رفعت الأبناء، وهيهات هيهات فكيف كان حال الآباء؟! كيف حال مُنْشِئِ الوصيةِ ومبدعِها؟ أي عقل هذا الذي فتّقَ أبواب تلك الحِكَم؟!.

فبعد أن أنزل الأوسٌ مالكًا ولدَه المنزلة الرفيعة، والغاية المنيعة، والمكانة البعيدة عن طريق استعمال أداة النداء **(يا)** الموضوعة للبعيد لنداء القريب، ونداؤه عليه باسمه، بغير كُنْيَةٍ ولا نعت؛ وذلك حتى يعي سمعه، وينتبه قلبه، ويُحَفِّزَ عزمَه لتحمُّل المسئولية، بلا مقدمات ومستتبعات.

دخل في الوصية مباشرة قائلًا: **(المنيةُ ولا الدَّنِيَّةُ)** ذلك هو **القانون**

---

(1) نسب معد واليمن الكبير، لأبي المنذر هشام بن محمد الكلبي تـــ٢٠٤هـــ (١/ ٣٦٤)

الأول، والمنهج البيِّن، استقبال المنيةُ، ولا قبول الدنيةُ، فقد بنى الأوس الجملةَ أولًا على الحذف، وتقدير الحذف على أمرين:

الأول: على تقدير نصب المنيةَ والدنيَّةَ، فيكون المعنى اختر المنيّةَ دون العار، ولا ترض الدنيّةَ، وقد ورد هذا المعنى في مجمع الأمثال للنيسابوري[١].

الثاني: على تقدير رفع المنيَّةُ والدنيَّةُ، وعلى ذلك يكون المعنى المنيَّةُ أحبُّ إليَّ، وليست الدنيَّة مما أحب وأختار، على تقدير أنها مبتدأ، وقد ورد هذا المعنى في مجمع الأمثال هو الآخر.

وقد يكون على تقدير أنها خبر لمبتدأ محذوف، وتقدير الكلام، استقبالُ المنية ولا قبولُ الدنية، وعندي أن هذا الوجه أنسب وأبلغ، وذلك لسببين:

الأول: باستحضار الهيئة والحالة التي قيلت فيها الوصية، الأوسُ وقد دقَّ بساعد الجَدِّ على باب القبر، فهو على مشارف الموت فقد حضره، وإخوانٌ يعاتبونه على عدم استجابته لمطلبهم وقت أن كان شابًّا، إذ لم يكن له من الخَلَفِ إلا خَلَفٌ واحدٌ وهو مالك، ومالك هو مناط الاهتمام، والأبُ على تلك الحال فرحٌ فخورٌ بولده، ويرجو له كثرة النسل وأن يكون النسل بسلًا، فيعطيه الدعائم الأساسية حتى يسقيها لأبنائه خَلَفًا من بعد خَلَف، فأعطاه (الخبر) على العموم غير مخصوص بوقت وزمان وأشخاص، فهو صالح لكلٍّ منهم.

---

(١) مجمع الأمثال- لأبي الفضل أحمد الميداني النيسابوري تـ٥١٨هـ (٢/ ٣٠٣)، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد- دار المعرفة - بيروت، لبنان-لا ط- من دون.

الثاني: أن الأوس ذكر مالكًا بالنداء، ثم قطع الكلام واستأنف بذكر وصيته التي هي لُبُّ الحدث وبيت القصيد، والإمام عبد القاهر يقول في هذا: "ومن المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ، "القطع الأول، ويستأنفون كلامًا آخر، وإذا فعلوا ذلك، أتوا في أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ[١]"، ثمّ أورد الإمام عبد القاهر خلاصة لفائدة الحذف، تجعل المتأمل للكلام بعد الحذف يُقَرُّ بأنه لولا الحذف لكان الكلام غثًّا، فيقول: " وإذ عرفت هذه الجملة من حال الحذف في المبتدأ، فاعلم أن ذلك سبيله في كل شيء، فما من اسم أو فعل تجده قد حذف، ثم أصيب به موضعه، وحذف في الحال ينبغي أن يحذف فيها، إلا وأنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره، وترى إضماره في النفس أولى وآنس من النطق به[٢]".

وتلك الوصية كناية عن عزة النفس، والأَنَفَةِ، والترَفُّعِ عن الدنايا وكلِّ أمر خسيس، وقد لاقت من الحسن والقبول والإحكام في بنائها ما جعلها تصير مثلًا.

ثمّ جانس الأوسُ بن حارثة بين قوله: **(المنيَّة والدنيّة)** جناسًا ناقصًا[٣] مضارعًا، ويكتسب الجناس جماله الفني، إذا كان المعنى هو الذي يطلبه، وفي تلك الحال، ترى حتمية هذا الجناس، كما ترى حتمية بناء الجملة على الحذف، فالمعنى والحال يتطلب تلك الألوان البلاغية، فيطلب الحذف؛ لأن المسند إليه يحذف لضيق المقام، وتجد لهذا الحذف مذاقًا حسنًا في سياق الضجر، والشدة حين ينزع المتكلم إلى الإشارات

---

(١) دلائل الإعجاز (ص: ١٤٧).

(٢) دلائل الإعجاز (ص: ١٥٢).

(٣) ينظر: مفتاح العلوم (ص: ٤٢٩) .

اللماحة لفرط ما يجد[١].

ويتطلب الجناس؛ لأنه ما من ريب في أن هذه الوصية التي صارت مثلًا، تستحوذ على ضروب من الجمال الفني يرجع بعضها إلى اختيار ألفاظها[٢]، فالوقت يمضي، والعمر يمرُّ، ويتطلب ذلك من الأوس أن ينتقي كلماته؛ لتكون الخاتمة في ذهن ولده، والتتمة لما يتلقاه مالك من والده من التوجيه والنصح.

ولجمال الجناس والسجع الذي يقوم عليه بناء الوصية، تجد وقعهما على السمع أقوى، وصداهما بالآذان يرنُّ، فإنك تحس جمال الصياغة، وأن صاحب الوصية قد يعمد إلى ضرب من التنغيم الموسيقي للفظها، فإذا هو يسجع فيها، وقد يعمد إلى ضرب من الأخيلة، ليجسّم المعنى ويزيده حدة وقوة، والحق أن كل شيء يؤكد أن العرب في الجاهلية، قد عنوا بمنطقهم واستظهار ضروب من الجمال فيه، سواء ضربوا أمثالهم أو تحدثوا أو خطبوا[٣]، وليكون كلامهم أيسر وأجدر أن يحفظه السامع.

ثمّ قال الأوس: **(والعتابُ قبل العقابِ، والتجلدُ ولا التبلدُ، واعلم أن القبرَ خيرٌ من الفقرِ)**، فوصل أولًا بين جملة **(المنية ولا الدنية)** وجملة **(والعتابُ قبل العقابِ)**؛ وذلك لاختلاف الجملتين لفظًا ومعنى، للتوسط بين الكمالين – الاتصال والانفصال –؛ والجامع بين الجملتين خيالي؛ لأنه بين

---

(١) خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني (ص: ٢١١).

(٢) الفن ومذاهبه في النثر العربي، لأحمد شوقي عبد السلام ضيف (ص: ٢٦)– دار المعارف–ط٢–من دون.

(٣) تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف، (١/ ٤٠٩)، دار المعارف – مصـــر– ط١– ١٩٦٠ – ١٩٩٥م.

تصور الجملتين تقارن في الخيال سابق، وأسبابه مختلفة؛ ولذلك اختلفت الصور الثابتة في الخيالات ترتبًا ووضوحًا، فكم صور تتعانق في خيال وهي في آخر لا تتراءى، وكم صورة لا تكاد تلوح في خيال وهي في غيره نارٌ على علمٍ[١].

ثم جانس الأوس في تلك الجملة كسابقتها، فبين قوله: **(عتاب وعقاب)** جناس ناقص مضارع، **وذلك هو القانون الثاني**، وتُروى تلك الوصية بالنصب **(العِتَابَ قَبْلَ العِقَاب)**، على إضمار استعمل العتابَ، وبالرفع على أنه مبتدأ، يقول: أصلح الفاسدَ ما أمكن بالعتاب، فإن تعذَّر وتعسَّر فبالعقاب[٢].

والمعنى: ابدأ بالمعاتبة فَإِن لم تَجِد فَثَنِّ بالعقوبة، وقد صارت تلك الوصية مثلًا يُضْرَب فِي النَّهْي عَن التسرع إِلَى الشَّرّ، واستعمال الأمثال في مضاربها استعارة تمثيلية[٣]، وقدّم العتاب على العقاب؛ لأنه بالعتاب يكون الودُّ والصفح، وفي هذا المعنى يقول عَلِيُّ بن الجهمِ[٤]:

أعاتب ذَا الْمُرُوءَة من صديقي إِذا مَا رَابَنِي مِنْهُ اجْتِنَاب

---

(١) الإيضاح ضمن البغية (٢/ ٣٠٦).

(٢) مجمع الأمثال (٢/ ٣٢).

(٣) ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (٢/ ١٨٢).

(٤) علي بن الجهم بن بدر، أَبُو الحسن، من بني سامة، من لؤيّ بن غالب، شاعر رقيق الشعر وأديب، من أهل بغداد، وخص بالمتوكل العباسي، ثم غضب عليه المتوكل، فنفاه إلى خراسان، فأقام مدة وانتقل إلى حلب، ثم خرج منها بجماعة يريد الغزو، فاعترضه فرسان من بني كلب، فقاتلهم، وجرح ومات من جراحه، وتوفى (٢٤٩ هـ). الأعلام، لخير الدين الزركلي تـ١٣٩٦هـ (٤/ ٢٦٩) – دار العلم للملايين–ط١٥– ٢٠٠٢ م.

إِذَا ذَهَــبَ العِتَــابُ فَلَــيْسَ وُدٌّ وَيَبْقَى الوُدُّ مَا بَقِــيَ العِتَــابُ[١]

وورد عن الحسن بن علي رضي الله عنه أنه قال: " نمت ليلة في قرية من قرى الشام، فسمعت طول الليل طائرًا ينوح ويبكي، ويقول: أخطأت فلا أعود، ثمّ أنشد:

أَسَأت فَلَا أَعُــودُ إِلَــى العِتَــابِ وَجِئتُكَ خَاضِــعًا قَبــلَ العِقَــابِ[٢]

ثم ذكر الأوس القانون الثالث، بوصية مجملة يرتكز معناها بالقلب قبل أن تُتِمَّ الأذنُ سماعها، فيقول:(**والتجلدُ ولا التبلدُ، واعلم أن القبرَ خيرٌ من الفقرِ)**، فوصل أولًا بين الجملتين، جملة (**والعتاب قبل العقابِ)**، وجملة **(والتجلدُ ولا التبلدُ)**؛ وذلك لاختلاف الجملتين لفظًا ومعنى، والداعي إلى ذلك الوصل هو التوسط بين الكمالين، وكأن الأوس أراد بكل فقرة من فقرات وصيته، أن تكون منارة يهتدي بها ولده مالك إلى فضائل الخصال، والتحلِّي بخصال الرجال أبناء الرجال، والقدوة لكل قائد، وأن يصبحَ هو الْمَثَلَ لكل مثال يُحتذى، فيعطيه النصيحة الغالية، والهِمَّةُ لكل عزيمة بالية، فصول من الوصايا، بينها من الوفاق والتوافق ما يجعلها كحبات اللؤلؤ المنضود، فابتدأ أولًا بخصال القيادة وعزة النفس، المنية ولا الدنية كانت مُفْتَتَحَة، ليَعْلَمَ أن الموتَ خيرٌ من خسائس الأمور، والعتاب

---

(١) البيتان لعلي بن الجهم في الدر الفريد وبيت القصيد، لمحمد بن أيدمر المستعصمي تـ٧١٠هـ (٢/ ٤٢٧)، تحقيق: الدكتور كامل سلمان الجبوري- دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان- ط١- ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

(٢) الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح- لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري تـ٨٣٣هـ(٨٣) تحقيق: محمد عبدالقادر عطا-دار الكتب العلمية- بيروت-لبنان-ط١-١٤٠٦هـ-١٩٨٦هـ.

قبل العقاب؛ لئلا يكون حُكْمهُ عند القضاء جورًا مبنيًا على جورٍ، ثم التجلد ولا التبلد، فأوصاه بأن يكون صلبًا يقظًا، وألَّا تأخذه الحيرة عند المشورة أو في العظائم من الأمور.

(والتجلدُ[1] ولا التبلدُ[2])، ولبناء تلك الوصية المحكمة، كنّى أولًا عن صفة أخذ الأمر بعزيمة وصلابة بالتجلد، ثم كنّى ثانية عن التردد في الأمر والحيرة بالتبلد، ثم جانس بين **(التجلد والتبلد)** جناسًا ناقصًا مضارعًا.

وقد وردت تلك الوصية بالنصب والرفع، فقد ورد في (الدر الفريد وبيت القصيد) الآتي: "**التَّجَلُّدَ وَلَا التَّبَلُّدَ**، يَعْنِي أَنْ التَّجَلُّدَ يُنْجِيْكَ مِنْ الأَمْرِ لا التَّبَلُّدَ، وَنُصِبَ التَّجَلُّدُ عَلَى معنى الْزَم التَّجَلُّدَ وَلَا تَلْزَم التَّبَلُّدَ، وَيَجُوْزُ الرَّفْعُ عَلَى تَقْدِيْرِ حَقُّكَ وَشَأْنُكَ التَّجَلُّدُ[3]"، وقد أخذ هذا التقدير من صاحب مجمع الأمثال[4].

وعلى التقدير السابق للجملة، فإنها تقوم على حذف المسند أو حذف المسند إليه على أحد التقديرين، وهذا اللون من الحذف مما يزيد الكلام هيبة ورونقًا؛ لأنه بنى الجملة على كلمة واحدة، وفي هذا يقول الدكتور/ محمد أبو موسى: " من أحسن مواقع الحذف ما ترى الجملة فيه بقيت على

---

(1) الجلد: الأرض الصلبة. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية -للجوهري تـ٣٩٣هـ (٢/ ٤٥٨)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار- دار العلم للملايين – بيروت- ط٤- ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(2) تبلد الرجل، إذا وضع يده على صدره عند تحقيره في الأمر. مقاييس اللغة- (١/ ٢٩٨).

(3) الدر الفريد وبيت القصيد، (٣/ ١٣٤)،

(4) ينظر: مجمع الأمثال، (١/ ١٣٩).

كلمة واحدة، وقد يكون ذلك في سياق قوي مجلجل، فيزداد حسن هذا الحذف[١]"، فقول الأوس: **(المنية، العتاب، التجلد)** هذا في الجمل الابتدائية للوصية، ثم قوله: " الدنية، العقاب، التبلد" هذا في الجمل المتممة للوصية، ترى أنها لو بُنِيت على غير الحذف لكان الكلام غثًا مرذولًا وغير فصيح؛ لذا وجب الحذف.

فعلى تقدير النصب يكون المعنى المراد: وَنُصِبَ التَّجَلُّدُ عَلَى معنى الْزَم التَّجَلُّدَ وَلَا تَلْزَم التَّبَلُّدَ، فيكون المعنى: أنه أسلوب تحذير، فيحذر ولده مالكًا من التخلي عن التجلد؛ لأن به تكون النجاة، ومثله إذا لزم التبلد، لكن على النقيض والعكس، فإن به تكون التهلكة.

وعلى تقدير الرفع يكون المعنى: التَّجَلُّدُ يُنْجِيْكَ مِنْ الأَمْرِ لا التَّبَلُّدَ، فيكون خبرًا، أي: إن الأوس يخبر ولده مالكًا، أن التجلد هو ما يكون به الفوز لا التبلد.

ومن دلائل الحذف الذي يكون بسببه بناء الجملة على كلمة واحدة التركيز، فبقاء الجملة على كلمة واحدة دلل على سياق السرعة، والحركات المتلاحقة، وجعل حسن الحذف لا يتناهى، وقد بُنِي هذا التعبير على التركيز الشديد[٢]، وكأن كل كلمة فيه جمع هائل من الوصايا التي تختزلها تلك الكلمات القلائل؛ ولذلك قال الإمام عبد القاهر الجرجاني عن الحذف: " إنه باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون

---

(١) خصائص التراكيب – لمحمد أبو موسى (ص: ٣١٣).

(٢) خصائص التراكيب (ص:٢٧٨).

بياناً إذا لم تُبن[1]"، وبتلك الوصية فقد أتم وصيته فيما يعين ولدَه مالكًا أن يكون قائدًا.

ثم شرع في الوصايا التي تسهم في جعل ولده سيدًا، ذا مكانة بين قومه فيقول:(**واعلم أن القبرَ خيرٌ من الفقرِ، وشرٌّ شاربٍ المشتف، وأقبح طاعم المقتف**)، حتى تكون سيدًا في قومك، مُطاع الأمر، مُهاب الركن، لا بد أن تتحلى بصفات تميزك عن غيرك؛ ولذلك ترى أن المعنى الذي سيتحدث فيه الأوس بن حارثة يتطلب من صاحبه صفات زائدة؛ ولذلك جاءت جمله أطول من سابقتها، فبنى الجمل الأولى على كلمتين؛ لأن صفة القيادة تتسم بالحسم في اتخاذ القرار، وعند الجواب بالاختصار، فجاءت مبانيه متوافقة لمعناه الذي أراده.

وفي الوصايا التي يُرادُ بها السيادة طالت الجمل، فبناها على ثلاث كلمات؛ وذلك لما تتطلبه السيادة من مقومات، أولها: الغنى؛ ليكون ذا أياد على تابعيه، وجليلًا ذا منفعة وفائدة لقومه، فهو العائل لهم، فيقول الأوس: **(واعلم أن القبرَ خيرٌ من الفقرِ)** فوصل أولًا بين الجملتين، جملة **(التجلد ولا التبلد)**، وجملة **(واعلم أن القبرَ خير من الفقرِ)**؛ وذلك لاختلافهما خبرًا وإنشاءً لفظًا ومعنى، والداعي إلى ذلك التوسط بين الكمالين، ثم افتتح الوصية بـــ **(اعلم)**، وفرق كبير بين استعمال الأوس للفعل **(اعلم)**، ولم يستعمل الفعل **(اعرف)**؛ لأن المعرفة أخص من العلم، والعلم يكون مجملًا ومفصلًا... وليس كل علم معرفة، وذلك أن لفظ المعرفة يفيد تمييز المعلوم من غيره، ولفظ العلم لا يفيد ذلك إلا بضرب آخر من التخصيص

([1]) دلائل الإعجاز، (١/ ١٤٦).

في ذكر المعلوم [١]، أي: إن تلك الوصية إجمالاً مفادها: أن الموت خير من أن تعيش في فقر، وعلى هذا تكون تحفيزًا لمالك أن يسعى دائمًا في طلب الغنى، وأن يجتهد فيما يعمل، حتى يصل إلى الرخاء المادي.

وقد خرج فعل الأمر **(اعلم)** من معناه الحقيقي إلى معنى مجازي، وهو النصح والإرشاد، وهو الطلب الذى لا إلزام فيه، وإنّما النصيحة الخالصة[٢]، وهذا هو معنى المعنى الذي نادى به الإمام عبد القاهر الجرجاني بقوله: "وإذ قد عرفت هذه الجملة، فههنا عبارة مختصرة وهي أن تقول: "المعنى"، و "معنى المعنى"، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة و"بمعنى المعنى"، أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر[٣]".

ثم حذف الفاعل للعلم به، والدليل على الحذف هو العقل، والمقصود الأظهر على تعيين المحذوف[٤]، والغرض من حذف المسند إليه في الجملة، لتخييل أن في تركة تعويلًا على شهادة العقل في ذكره[٥].

(أن القبرَ خيرٌ من الفقرِ)، فبعد أن حاز على انتباه ولده مالك، وذلك عن طريق تصديره للجملة بالفعل الأمر **(اعلم)**، وقد أخرجه من معناه الحقيقي وهو الإلزام، إلى معنى مجازي وهو النصح والإرشاد.

---

(١) ينظر: الفروق اللغوية للعسكري (ص:٨٠).

(٢) أساليب بلاغية، الفصاحة – البلاغة – المعاني، لأحمد مطلوب (ص: ١١٢)– وكالة المطبوعات – الكويت، ط١– ١٩٨٠م.

(٣) دلائل الإعجاز (٢٦٣).

(٤) أدلة الحذف كثيرة منها: أن يدل العقل على الحذف والمقصود الأظهر على تعيين المحذوف. الإيضاح في علوم البلاغة (٣/ ١٩٤).

(٥) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة (٢/ ٤).

(أنَّ القبرَ)، ثم أنزل مالكًا منزلة المنكر، فبنى وصيته تلك على التأكيد، هذا ظاهر الكلام، وقد يؤكد الخبر لشرف الحكم وتقويته، مع أنه ليس فيه تردد ولا إنكار[1]، ثم قال: "**القبرَ**" وفيها مجاز مرسل علاقته المحلية[2]، وذكر القبر – المحل – دون أن يذكر الموت – الحال –؛ وذلك لتعدد طرق الموت، فمنها الموت الشريف، كالموت حال الدفاع عن الدين والأهل والوطن، ومنها الموت الخسيس، فلتعدد هيئات الموت عدل عنه إلى المحل الذي لا يتغير، فمهما كانت الْمَيْتَةُ فالمآل واحد وهو دخول القبر، ولذلك عبر بالثابت الذي لا يتغير، وللوحشة التي تعتلي القبور والإحساس بالوحدة، فالفقر سيشعرك بما هو أكثر من وحشة القبر والوحدة التي ستشاركك فقرك، فتكون أشدَّ ألمًا من الموت؛ لذا القبر خير من الفقر.

ووجه آخر لقوله: "القبر خير من الفقر" عبر بالقبر ولم يذكر الموت على طريقة المجاز المرسل الذي علاقته (اعتبار ما سيكون)، أي: إن الموت سيؤول حتمًا إلى القبر، وبذلك يرشد ولده مالكًا إلى أن يكون ذا عزٍّ وغنى؛ لأن ألم الفقر أشد من الموت الذي سيؤول به إلى القبر.

(خيرٌ من الفقر) لَمَّا أراد الأوس أن يفاضل بين القبر والفقر، جاء بما يتناسب والتأكيد بـــ**(إن)** المذكورة في بداية الجملة، فقد جاء بصيغة **(خيرٌ من)** الدالة على التفضيل بذاتها، ثم بالتفضيل بوقوعها على صيغة أفعل الموضوعة للتفضيل، ولكن لما كثر استعمال صيغة التفضيل من

---

(1) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع–للهاشمي، (ص: ٦٠)، ضـــبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي– المكتبة العصرية– بيروت.

(2) هذا الضرب من المجاز – المجاز المرسل – يقع على وجوه كثيرة غير ما ذكرنا: ... ومنها تسمية الحال باسم محله. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة (٢٠٩).

الخير والشر اختصروهما، فحذفوا الهمزة، وقالوا في المدح والذم: هو خير من كذا، وشرّ من كذا، ورفض أخير وأشرّ إلا فيما ندر[١]، حتى يؤكد الأفضلية للموت على حياة الفقر، وليجسد المعنى المراد وتقريره بالنفس.

وفي قوله: **(الفقر)** مجاز مرسل علاقته السببية، حيث إن الفقر بذاته لا يعيب صاحبه، إنما حياة الذل والضراعة والقلق هي التي يكون القبر أفضل منها.

(وشرُّ شاربٍ المُشْتَفُ[٢]، وأقبح طاعم المقتف[٣]) ثم وصل بين جملة **(القبر خير من الفقر)** وجملة **(وشر شارب المشتف)**؛ وذلك لاتفاقهما في الخبرية، للتوسط بين الكمالين، وتعنى: وإذا شرب اشتف، أي: شرب كل ما في الإناء حتى الشفافة، وهي البقية تبقى في أسفل الإناء، وبذلك المعنى تكون كناية عن الشَّرَهِ، وتكون كناية عن صفة، وعلى تلك الوصية بنى العرب مَثَلهم، فيقولون: "من أمثالهم: ليس الرِّيُّ عن التَّشاف، يريد ليس الريّ أن يشرب كل شيء في الإناء، والتَّشاف تفاعل من الشفاهة[٤]، وتلك الكناية تنافي صفات السيادة والقيادة؛ وذلك

---

(١) ينظر: شرح التسهيل لابن مالك (٣/ ٥٢).

(٢) الاستشفاف في الشراب: أن يستقصى ما في الإناء لا يسأر فيه شيئًا، أخذ الشفافة، وهي البقية التي تبقى في الإناء من الشراب فإذا شربها فقد شتفها وتشافها. ينظر: مجمل اللغة لابن فارس- (توفي: ٣٩٥هـ)، (ص: ٤٩٧)، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان- مؤسسة الرسالة – بيروت-ط٢ – ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

(٣) إذا أكل اقتف، أي: أكل كل شيء في الإناء، ومنه: فلان يُقف إذا كان يأخذ الشيء كله. ينظر: أمالي اليزيدي (٦٤).

(٤) ينظر: أمالي المرزوقي (ص: ٢٦).

للهيئة التي يكون عليها الشارب حينئذٍ، فهو يقرع بالإناء جبهته، إذا اشتف ما فيه[١]؛ ولذا خُصَّ هذا المعنى بلفظ (القعف) وما به من قوة أصواتها الناشئ من بُعْد مخارجها، ويعني: اشتفافك ما في الإناء أجمع[٢].

ثم جانس بين:(**شرٌّ**) و(**شارب**) وهو من الجناس الناقص.

وفي قوله: (**وشرٌّ شارب المشتَف**) مجاز عقلي، حيث أسند (شارب) اسم الفاعل إلى اسم المفعول في قوله: "الْمُشْتَف" بفتح ما قبل الآخر، وهو خبر المبتدأ، وأفعل التفضيل(شر) يأتي للمفاضلة بين شيئين اشتركا في صفة، ويكون تقدير الكلام: شرٌّ شاربٍ المُشْتِفُ، فقد أسند اسم الفاعل (شارب) إلى اسم المفعول (المشْتَف)، والمراد: معنى الفاعلية، فظهر المجاز العقلي، والقرينة فيه تكون حالية، والعلاقة هي الفاعلية.

ثم جاء في الطرف الثاني من السجع، وصنع فيه ما صنعه في الطرف الأول؛ وذلك ليساوي بين الجملتين، فيقول: " وأقبحُ طاعمٍ المُقْتَفُّ" فبناها على المجاز العقلي، في إسناد اسم الفاعل (طاعم) إلى (المقتفّ)، والتقدير: أقبح طاعم المُقْتَف، بفتح ما قبل الآخر، وعلى هذا تكون كناية عن الوضاعة أو الدناءة.

(**وذهاب البصر خير من كثير من النظر، ومن كرم الكريم الدفاع عَنِ الحريم**)، فوصل الأوس بن حارثة بين الجملتين، جملة (**وأقبح طاعمٍ المُقْتَفُّ**) وجملة (**وذهاب البصرِ خير**)؛ وذلك لاتفاق الجملتين في الخبرية؛ للتوسط بين الكمالين، وكأن الأوسَ يريد أن يجعل كل فقرة من فقرات وصيته قائمة برأسها، إن استعان مالكٌ بأي واحدة منهن نجا.

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة (٥/ ٧٣).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة (٥/ ١١١).

(ذهاب البصر) ثم كنى عن صفة العمى بجملته تلك؛ لأن الخَلْقَ من أول الأمر على العمى، لا يكون مؤلمًا كوجود البصر ثم ذهابه، فيكون أشدَّ ألمًا، ومن جهة أخرى لا بد أن يكون البصر موجودًا ليرى، فإذا ذهب البصر استطاع أن يعقد الموازنة بين كونه أعمى وبين كثيرٍ من النظر في الأفضلية.

ثم استعان الأوسُ في التفضيل بصيغة **(خيرٌ)** والتي تدل على التفضيل لأصل معناها اللغوي، ثم زادت تفضيلًا باستعمالها في باب التفضيل دون غيره؛ ولذلك لها خصوصية، وهي أنها لما كثر استعمالها في التفضيل اختصروها فحذفوا الهمزة، وقالوا في المدح والذم هو خير من كذا، وشرّ من كذا دون أخير وأشرّ إلا فيما ندر[١]، ومن جهة أخرى لخصوصية تلك الصيغة، أن أفعل التفضيل، وذلك نحو: (أكرم منك وأفضل منك)، لا تتصرف في النكرة للوصف ومثال الفعل، وبينما تتصرف خيرٌ منك وشرٌ منك؛ لزوال أوزان الفعل عنها[٢].

(من كثيرٍ من النظر)، أولًا احترس[٣] في قوله: **(من كثير)**، وذلك

---

(١) ينظر: شرح التسهيل لابن مالك (٣/ ٥٢).

(٢) ينظر: توجيه اللمع، لأحمد بن الحسين بن الخباز، (ص: ٤١٩)، تحقيق: فايز زكي محمد دياب– دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة–ط٢ – ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

(٣) التكميل: ويسمى الاحتراس أيضًا، وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه، وهو ضربان: ضرب يتوسط الكلام...وضرب يقع في آخر الكلام. ==

حتى لا يتوهم السامع أن ذهاب البصر خير من النظر على الإطلاق، وفي هذا يقول ابن أبي الإصبع: الاحتراس: وهو أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه دَخَل، فيفطن له، فيأتي بما يخلصه من ذلك بالاحتراس؛ لاحتمالٍ دخل على المعنى، وإن كان تامًا كاملاً، ووزن الكلام صحيحًا[1]"، ثم بالنظر إلى السجع الذي رصَّع به الأوس جمَله، فإنه من السجع الحسن؛ ذلك لأن أحسن السجع ما تساوت قرائنه، ثم ما طالت قرينته الثانية[2]، إن الأوسَ يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه.

وقد اختلف في معنى **(من)** المصاحبة لأفعل التفضيل، فذهب المبرد ومن وافقه إلى أنها لابتداء الغاية، وذهب سيبويه إلى أنها لابتداء الغاية – أيضًا–، وأشار إلى أنها مع ذلك تفيد معنى التبعيض[3]، أي: إن الكثير من النظر وليس كل النظر، فذهاب البصر أفضل منه، وفيه كناية عن غض البصر، التي تتفق وصفات المروءة والأمانة.

(ومن كرم الكريم الدفاع عَنِ الحريم)، وصل كعادته بين الجملتين؛ لاتفاقهما في الخبرية، ولبناء كل وصية على حده، حتى تكون رأسًا بنفسها، قائمة بذاتها لتكون منهجًا تسير عليه قبيلة الأوس.

وفي قوله:**(من كرم الكريم الدفاع عن الحريم)** حيث أخر المبتدأ **(الدفاع)** جوازًا، والداعي إلى تأخير المسند إليه هو التشويق إلى ذكره وبيانه.

==

الإيضاح ضمن البغية (٢/ ٣٥٥).

(1) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر (ص: ٢٤٥).

(2) الإيضاح في علوم البلاغة (ص: ٢٩٧).

(3) ينظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك (٢/ ٩٣٤).

وبين **(كرم)** و**(الكريم)** جناس اشتقاق[١]، وفي تعريف لفظ **(الحريم)** عموم وشمول يضم كل ما يعظمه العربي من أهل وعشيرة وجيرة ومال وعرض.

ثم جانس الأوسُ في قوله: **(كريم وحريم)** جناسًا ناقصًا مضارعًا، زاد من جمال النغم اللفظي، والذي جعل صداه يرن في الأذن، ولا يخفى ما في الجملة من سجع رائع بين الجملتين، قد زاد من وقع الكلمات على النفوس، حتى تتهيأ لتنفيذ الوصية.

(ومن قلَّ ذلَّ، ومن أَمِرَ فلّ، وخيرُ الغنى القناعةُ، وشر الفقر الضراعة)، فوصل بين جملة **(ومن كرم الكريم)** وجملة **(من قلّ ذلَّ)**؛ للتوسط بين الكمالين، وكأنه استعمل الوصل وسيلة للتنقل بين فقرات وصيته؛ وذلك لإبراز الغرض من كل وصية على حِدَة منفردة.

ثم بنى الجملة على الشرط، "ومعنى **(مَنْ)** الشرطية: أنها تكون شرطًا للعاقل، قال تعالى: ﴿**فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا**[٢]﴾، قال سيبويه: (مَنْ): وهي للمسألة عن الأناسي، ويكون بها الجزاء للأناسي، وتكون بمنزلة (الذي) للأناسي.

ولو قال للعقلاء، أو لذوي العلم لكان أجود، فإنها تستعمل لغير الأناسي من العقلاء، فقد تستعمل للملائكة، قال تعالى: "﴿**لَنْ يَسْتَنْكِفَ**

---

(١) ويلحق بالجناس شيئان: أحدهما: أن يجمع اللفظين الاشتقاق، والثاني: أن يجمعهما المشابهة، وهى ما يشبه الاشتقاق. الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، لإبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين تـ٩٤٣هـ (١/ ١١٥)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي- دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان- ط١ – ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٢) بعض آية من سورة البقرة (رقم: ١٥٨).

الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١)﴾، (٢)".

وبنى جملة الشرط على كلمة واحدة مما يعطيها من الجلال والهيبة وذلك عن طريق حذف الفاعل، في جملتي الشرط (الفعل والجزاء)، وقد أعطى الحذف في الجملة الإفادة التامة، فكان الأوسُ أبين بالحذف عن الذكر، وهذا ما ذكره الإمام عبد القاهر الجرجاني: " وإذ عرفت هذه الجملة من حال الحذف في المبتدأ، فاعلم أن ذلك سبيله في كل شيء، فما من اسم أو فعل تجده قد حذف، ثم أصيب به موضعه، وحذف في الحال ينبغي أن يحذف فيها، إلا وأنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره، وترى إضماره في النفس أولى وآنس من النطق به(٣)".

والتقدير: من قلَّ عدده ذلَّ أمره، ومن أمر أي: كثر عدده، فلَّ أي: غلب.

وبين قوله: **(من قلَّ ذلَّ)** وقوله: **(ومن أمِرَ فلَّ)** جملة من ألوان البديع، فبين المعنيين مقابلة تبرز المعنى، وكناية عن العزة، وبينهما سجع رائع، حيث توازنت الجملتان، وكذلك بين **(ذل، وفل)** جناس ناقص، والجملتان بعد آية في الإيجاز، وهما يجريان مجرى الحكمة.

(وخيرُ الغنى القناعةُ، وشر الفقر الضراعة)، ثم وصل بما يصل به عادةً، فالوصل للتوسط بين الكمالين، وغلب على وصية الأوس أن الألفاظ منتقاة بعناية، لمن لا يعلم أن هذا هو لسانهم، والسليقة والطبيعة والفطرة،

---

(١) النساء آية (رقم: ١٧٢).

(٢) معاني النحو (٤/ ٨٨).

(٣) معاني النحو (ص: ١٥٢).

وفرق بين القناعة التي فضلها الأوس على كل الألفاظ التي تحمل ذات المعنى؛ وذلك لأن القناعة عمل من أعمال القلوب[١]، وصنع في تلك الوصية ما صنعه في الوصية السابقة، فقابل بين الجملتين، جملة **(خير الغنى القناعةُ)** وجملة **(شر الفقر الضراعة)** مقابلة معنيين بمعنيين، **المعنى الأول:** الغنى والفقر، **والمعنى الثاني:** القناعة والضراعة، ثم قابل بين عموم الجملتين مقابلة معنوية؛ وذلك ليبرز المعنى ونقيضه في ذهن المتلقي ، فيكون أدعى للزجر والترغيب معًا.

وطرفا السجع متساويان وهذا أحسن أنواع السجع، ثم استعان بما يجعل كل جملة كاللحمة الواحدة بلونٍ بديعي وهو مراعاة النظير[٢]، فقد جمع في كل جملة ما يتناسب فجمع بين: الغنى والفقر في جملة، وجمع بين: القِلَّة والكثرة في أخرى، وهذا اللون البديعي قد أشاع لونًا من التناسب بين فقرات الوصية.

(والدهر يومان، فيوم لك ويوم عليك، فإذا كان لك فلا تبطر، وإذا كان عليك فاصبر، فكلاهما سينحسر)، جمع أولًا الدهر في قوله: **(يومان)** ثم فرّق اليومين، إلى يومٍ لك، ويومٌ عليك، ثم قسَّم، ويُطلق التقسيم على

---

(١) الفرق بين القناعة والقصد: أن القصد هو ترك الإسراف والتقتير جميعًا، والقناعة الاقتصار على القليل والتقتير، ألا ترى أنه لا يقال: هو قنوع، إلا إذا استعمل دون ما يحتاج إليه، ومقتصد لمن لا يتجاوز الحاجة ولا يقصر دونها، وترك الاقتصاد مع الغنى ذم، وترك القناعة معه ليس بذم؛ وذلك أن نقيض الاقتصاد الإسراف وقيل الاقتصاد من أعمال الجوارح؛ لأنه نقيض الإسراف وهو من أعمال الجوارح، والقناعة من أعمال القلوب. الفروق اللغوية للعسكري (ص: ٣٠٠).

(٢) مراعاة النظير؛ ويسمى التناسب والائتلاف والتوفيق، وهو أن يجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه، لا بالتضاد. ينظر: الإيضاح ضمن البغية (٤/ ٥٨٣).

أمرين، أحدهما: أن يذكر أحوال الشيء مضافاً إلى كل حال ما يليق بها[1]، فجمع كلًا وما يليق في قوله، **(فيوم لك)** وقوله: **(فإذا كان لك فلا تبطر)** ثم جمع بين قوله: **(ويوم عليك)** وقوله: **(وإذا كان عليك فاصبر)**، ثم أتم الجملة بأن جمعهم جميعًا في حكم واحد، وهو قوله: **(فكلاهما سينحسر)** وتلك الوصية كناية عن عدم الإفراط في الصفة على الوجهين، ثم طابق بين قوله: **(يوم لك)** وقوله: " **(يوم عليك)** فبين (لك وعليك) طباق في الحرف، حتى يظهر الصورة على التمام الذي أراده الأوس، وكأنه يخبر ولده مالكًا، أن دولة الأيام لا بد وأن تدور دائرتها على الوجهين، حتى لا يجزع إذا كان عليه، ولا يتعالى إذا كان له؛ لأن كلًا من اليومين لا بد وأن ينحسر.

وفي اجتماع الثلاثة – الجمع والتفريق والتقسيم – يقول صاحب الطراز: " هذه الأمور الثلاثة من عوارض البلاغة، وإذا وقعت في الكلام بلغ مبلغًا عظيمًا في حسن التأليف وإعطاء الفصاحة حقها[2]".

ومن جهة أخرى لتلك الوصية، أن أوسًا استعمل لونًا من الألوان البديعية يسمى باللف والنشر[3]، حيث ذكر المتعدد على جهة الإجمال في قوله: **(الدهر يومان)** فجمع كل حادثات الدهر في يومين، ثم فصّل بقوله: **(فيوم لك ويوم عليك)** ثم جاء باللف على ترتيب النشر، وذكر ما لكل واحد من غير تعيين؛ وذلك ثقة بأن السامع سيرد كل واحد إلى ما هو له.

---

(1) والثاني: استيفاء أقسام الشيء بالذكر. الإيضاح في علوم البلاغة (ص:٢٧٢).

(2) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز– للعلوي تـــــ ٧٤٥هـــ (٣/ ٧٨)– المكتبة العنصرية – بيروت –ط١– ١٤٢٣هـ.

(3) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة (ص: ٢٦٨).

ثم استعان الأوسُ بـــ (**إذا**) الشرطية والتي تستعمل في الأمر المقطوع بوقوعه؛ وذلك لأن دولة الأيام لا بد وأن تدور، وقد عنى البلاغيون بتقييد المسند بـــ(أن وإذا)؛ لأن للتقييد بهما لطائف واعتبارات بلاغية، أو لكثرة مباحثهما الشريفة المهملة في علم النحو، والفرق بينهما هو أن (إن) تستعمل في الشرط غير المقطوع بوقوعه، تقول: إن جئتني أكرمتك، إذا كنت غير قاطع بمجيئه، و(إذا) تستعمل في الشرط المقطوع بوقوعه تقول: إذا جئتني أكرمتك، إذا كنت قاطعًا بمجيئه، أو مرجحًا ذلك[١]".

وقد جمع الكل في حكم واحد وهو قوله:(**فكلاهما سينحسر**) وفرق بين استعمال (السين) واستعمال (سوف)، فقد قالوا: (سوف) أكثر تنفيسًا من السين، فإن لفظها أكثر فهو يؤذن بالبعد.

وجاء في (شرح الرضي على الكافية): "وسوف أكثر تنفيسًا من السين.. وقيل: إن السين منقوص من سوف دلالة بتقليل الحرف على تقريب الفعل.

وقال ابن إياز في شرح الفصول:" إن التراخي في سوف أشد منه في السين، بدليل استقراء كلامهم، قال تعالى:﴿ **وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ** [٢] ﴾، وطال الأمد والزمان، وقال تعالى: ﴿**سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا** [٣] ﴾، فتُعَجِّل القول[٤]".

([١]) خصائص التراكيب (ص: ٣٥٨).

([٢]) سورة الزخرف آية (رقم :٤٤).

([٣]) بعض آية من سورة البقرة (رقم :١٤٢).

([٤]) معاني النحو (٤/ ٢٦).

فاستعمل (السين) وتلك دلالة منه على أن كُلًّا من اليومين سريع الزوال والانحسار، سواء كان لك أم عليك.

(فإنما تعز من ترى، ويعزك من لا ترى، ولو كان الموت يشترى لسلم منه أهل الدنيا، ولكن الناس فيه مستوون، الشريف الأبلج واللئيم المعلهج)، ثم خالف الأوسُ عادته في الوصل بـــ (الواو) وعدَل عنها إلى (الفاء)، وكأن الإتيان بهذه الفاء تعقيب على كل النصائح والوصايا التي ألقاها على عاتق ولده مالك، وكأن الأوس يريد أن يخبره أمرًا مهمًا، وهو: حتى وإن نفذت كل تلك النصائح والوصايا، فلن ترغب إلا فيما تراه عينك.

وفي استعماله (إنما) لقصر الْمَعَزَّة على ما تراه الأعين، فإن هذا الأمر معلوم لدى مالك ولده، وهذا مفهوم من معنى (إنما)؛ لأنها تأتي للخبر لا يجهله المخاطب، ولا يكون ذكرك له لأن تفيده إياه، وإنا لنراها في كثير من الكلام، والقصد بالخبر بعدها، أن تعلم السامع أمرًا قد غلط فيه بالحقيقة، واحتاج إلى معرفته[1]، فالأوس يريد النُّصْحَ ما استطاع، وكأنه تعريض أن يلزم الحرص دائمًا، وفي إفادة (إنما) التعريض، يقول الإمام عبد القاهر: " ثم اعلم أنك إذا استقريت وجدتها أقوى ما تكون وأعلق ما ترى بالقلب، إذا كان لا يراد بالكلام بعدها نفس معناه، ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه[2]" فإفادة (إنما) التعريض يدل على أن الحذر والحرص واجب على ولده.

(تعز من ترى، ويعزك من لا ترى)، قابل أولًا بين عموم الجملتين،

([1]) ينظر: دلائل الإعجاز (ص:٣٥١).

([2]) دلائل الإعجاز (ص: ٣٥٤).

ثم طابق بالسلب بين جزئياتها في قوله: **(ترى، لا ترى)** حتى يكون النقيضان في ذهن المتلقي ليظهر الحسن والفائدة من المطابقة، فالضد يظهر حسنه الضد.

ثم عدل الأوس عن الاسم الموصول وهو **(الذي)** إلى **(من)** الموصولة للدلالة على العاقل، وفرق بينهما في الاستعمال، فإن الإبهام الذي يكتنف **(من)** الموصولة ناسب الإبهام في **(إنما)** التعريضية، وتلك الوصية كناية عن توخي الحذر، من قبيل الكناية عن صفة، وقد نظم أبو هلال العسكري في هذا المعنى قوله:

وَقَد يَعرِض الْمَحْذُور من حَيْثُ ويمكنك المرجو مِن حَيْثُ يتقى[١]

ثم انتقل الأوس إلى الخلاصة من تلك الوصايا والمراد؛ ليكون ولده في حذر دائم ولكن بلا خوف أو اضطراب أو قلق، فيقول: **(ولو كان الموت يشترى لسلم منه أهل الدنيا، ولكن الناس فيه مستوون، الشريف الأبلج واللئيم المعلهج)** فوصل أولًا بين الجمل؛ للتوسط بين الكمالين، فبين جملة **(ويعزك من لا ترى)** وجملة **(ولو كان الموت يشترى)** اختلاف في اللفظ والمعنى، فيجب الفصل بالواو حتى لا يختلف المعنى الذي أراده الأوس.

ثم علّق الوصية على الشرط، واستعمل **(لو)** الشرطية وتسمى حرف امتناع لامتناع، ومعناها امتناع وقوع الجزاء لامتناع الشرط، نحو: (لو زرتني لأكرمتك) فامتنع الإكرام لامتناع الزيارة[٢]، أي: إن السلامة من الموت غير حاصلة، حتى لو كانت تلك السلامة تُشتَرى، ثم قرن

---

(١) ينظر: جمهرة الأمثال (١/ ١١٩).

(٢) ينظر: معاني النحو (٤/ ٨٩).

الجواب (باللام) وقد اختلف في معنى تلك (اللام) فمنهم من قال: إنها للتسويف، ومنهم من قال: إنها للتأكيد، ومنهم من قال: إنها للقسم، ولكن الأرجح من كل تلك الآراء أنها للتأكيد[1]، وقد خرج بهذا التأكيد على خلاف مقتضى الظاهر، فأنزل الأمر الغير المنكر وكأنه منكر، وأنزل غير المنكرين منزلة المنكرين؛ وذلك أنه لَمّا نصحه بأن يأخذ الحذر عن طريق (إنما) التعريضية، وكأن مالكًا قد ظهر عليه علامة أن الحذر سينجيه من الموت، فجاء الكلام على خلاف ما توقع مالك وأراد، فجاءت (لو) الشرطية التي نفت كل الاحتمالات للنجاة من الموت؛ ولذلك استدرك الأوس بـــ(لكن) الاستدراكية؛ لأن ما بعدها جملة، وباستعماله (لكن) فقد زاد من الإثبات والتأكيد فهي لتحقيق الإثبات بعد النفي أو النفي بعد الإثبات تقول: ما جاءني زيد لكن عمرو جاءني، وأتى عمرو لكن زيد لم يأت، فهذا أصل لكن[2]، ثم جمع الكل في قوله: **(الناس فيه مستوون)** فجمع الكل في الاستواء، وقدّم الجار والمجرور في قوله: **(فيه)**؛ لزيادة التنبيه وتقوية الحكم في ذهن المتلقي، ثم قسّم الناس قسمين، **الأول:** الشريف الأبلج، **والثاني:** اللئيم المعلهج، وفائدة الجمع والتقسيم هنا، أن الأوس استوفى جميع أقسام الناس بالذكر، فإما أن يكون شريفًا، وإما أن يكون لئيمًا.

والشريف الأبلج، كناية عن السيادة والوضاحة، واللئيم المعلهج كناية عن اختلاط النسب، أو المعلهج هو: المتناهي في الدناءة واللؤم، أو هو

---

(1) السابق (٤/٩٤).

(2) ينظر: معجم الفروق اللغوية (ص: ٦٧).

اللئيم في نفسه وآبائه[١]، وهي كناية عن صفة الدناءة في كل الأحوال، ثم قابل معنيين بمعنيين، في قوله: **(الشريف واللئيم)** وقوله: **(الأبلج والمعلهج)**، وهذا التنافر والثقل الملحوظ في قوله: **(المعلهج)** حتى يُنَفِّر مالكًا ولده من الدناءة ومن كل نعت يقربه منها.

(والموت المفيت، خيرٌ من أن يُقَال لك هبيت، وكيف بالسلامة، لمن ليست له إقامة، وشرٌ من المصيبة سوء الخلف، وكل مجموع إِلَى تلف)، هنا الختام للقوانين التي سنّها الأوسُ بن حارثة؛ لتكون مناهج وقوانين تسير عليها قبيلة الأوس، لترتقي الْمُرتَقَى المنيع، والمقام الرفيع، والسيادة بعزة، والقيادة بحكمة، والقتال بعزيمة وهمّة، المبادئ والأسس التي لزموها حتى ناصروا الرسول ﷺ، فقد وصل الأوس بين جملة **(واللئيم المعلهج)** وجملة **(والموت المفيت)**؛ للتوسط بين الكمالين؛ لاتفاقهما خبرًا واختلافهما لفظًا ومعنى، لتكون وصيته متصلة بحبل من الحكمة، لا يبلى بمرور الزمن والأيام، إنها المنهج والشِّرْعة التي يريد الأوسُ بها السلامة والمهابة لولده مالك.

(والموت المفيت) كناية عن الهلاك، وليس أي هلاك إنما الهلاك الذي ليس بعده حياة، وكأن الأوس يريد أن يخبر ولده مالكًا؛ لأن تذهب عنك طيبات الحياة وملذاتها، خير لك من أن يُقال لك: جبان، وحتى يصل إلى هذا المعنى الموجز الْمُحكم أسند الموت إلى المفيت إسنادًا حُكْميا أي مجازًا عقليًا، وعلاقته السببية، ولتلك العلاقة خصيصة اختلف حولها العلماء[٢]، وقد لخصها الدكتور أبو موسى في خصائصه، ثم عرض قول

---

(١) ينظر: أمالي القالي (١/ ١٠٤).

(٢) ينظر: خصائص التراكيب (ص:١٤٧).

الإمام عبد القاهر الجرجاني قائلًا: "واعلم أنه لا يجوز الحكم على الجملة بأنها مجاز إلا بأحد أمرين، فإما أن يكون الشيء الذي أثبتَّ له الفعل مما لا يدعي أحد من المحققين، والمبطلين أنه مما يصح أن يكون له تأثير في وجود المعنى الذي أثبت له، وذلك نحو قول الرجل: محبتك جاءت بي إليك، وقول عمرو ابن العاص في ذكر الكلمات التي استحسنها: "هن مخرجاتي من الشام"، فهذا مما لا يُثبتُ الفعل إلى القادر، وأنه مما لا يعتقد الاعتقادات الفاسدة[1]".

ثم فاضل الأوس بين الوصفين بقوله: **(خير من)** وتلك تأكيد على تأكيد كما مر، والوصية الأخرى **(خير من أن يقال لك هبيت)**، فالهبيت هو الأحمق أو الجبان المخلوع القلب[2]، وكأن الاتصاف بصفة الجُبْنِ هي المذمَّةُ وأي مذمَّةٍ، وقد نظم طرفة بن العبد في هذا المعنى فيقول:

الهبيـــــت لا فـــــؤاد لـــــه والثبيـــــت ثبتـــــه فهمـــــه[3]

ثم جانس بين قوله: **(مفيت)** وقوله: **(هبيت)** جناسًا ناقصًا مضارعًا، حتى تكون سجعاته متوافقة الفواصل، متناغمة الألفاظ، تجذب الانتباه والسمع ، فيكون وقعها بالقلب أقوى.

ثم بنى الفعل **(قال)** للمجهول، وفيه دلالة أن الأوس لما تجاهل الفاعل الحقيقي للكلام وكأنه أراد أن كل الناس سيقولون ذلك، مما يكون سببًا في مَذَمَّة ولده، وقدّم الجار والمجرور في قوله: **(يقال لك هبيت)**؛ وذلك لغرض زيادة التنبيه والتخصيص، حتى يُخصص ولده مالكًا دون غيره

---

(1) السابق (ص:١١١).

(2) ينظر: زهر الأكم في الأمثال والحكم (٢/ ٢٠٨).

(3) ينظر: أمالي القالي (١/ ١٠٤).

من الحاضرين بالكلام، ودلّ على ذلك كاف الخطاب للمفرد.

وكيف بالسلامة، لمن ليست له إقامة، وشرٌ من المصيبة سوء الخلف، وكل مجموع إِلَى تلف، وتحوّل الأوس بن حارثة من الوصايا التي ترفع ابنه مالكًا إلى العزة والسيادة، إلى الوصايا المجتمعية، ويستفتحها بسؤال يخرج من معناه الحقيقي إلى معنى آخر مجازي، فيقول: "وكيف بالسلامة؟ فقد خرج الاستفهام من معناه الحقيقي وهو السؤال عن الحال[١]، إلى معنى التعجب، وكأن الأوس يتعجب من الحرص على الإقامة في الدنيا، وليس لأحد فيها إقامة، وكأنه يُعَرِّض بذم الحرص على الدنيا.

ثم جاء بالمسئول عنه مصدرًا (بالباء) وفي معنى (الباء) يقول ابن يعيش: " اللازمُ لمعناها الإلصاقُ، وهو تعليق الشيء بالشيء، فإذا قلت: "مررت بزيد"، فقد علقتَ المرور به، فـــ "زيدٌ" متعلَّقُ المرورِ؛ وذلك على ثلاثة أوجه: اختصاصِ الشيء بالشيء، وعملِ الشيء بالشيء، واتصالِ الشيء بالشيء[٢]".

وعلى المعنى الذي قال به ابن يعيش في الحالة الثالثة، وهي اتصال الشيء بالشيء، يكون المعنى: كيف السلامة تكون متصلة لمن ليس له إقامة دائمة ومتصلة، فألصق تعجبه المجازي عن طريق الاستفهام بالسلامة، ثم علل على تعجبه بالفقرة الثانية من السجعة، بأن المرء ليس له إقامة دائمة لينعم بالسلامة، وكأن تعجبه في بداية الأمر قد تحول إلى إنكار بتتمة الجملة.

---

(١) ينظر: المطول (ص:٤١٧).

(٢) شرح المفصل لابن يعيش (٤/ ٤٧٤).

(وشرٌ من المصيبة سوء الخلف)، واختتم الأوس كلامه بتلك الوصية التي صارت مثلًا يُضرب للخلف قام مقام الخلف، وربما المراد بسوء الخلف ما يستوجبه من الصبر إن صبر، وسوؤه أن يحبط ذلك بالجزع[1]، وكنى عن الموت وهو الموصوف بالمصيبة من باب الكناية عن صفة، ويكاد يُرى في تلك الوصية عزاء أوس لنفسه بنفسه، وأخر المسند إليه في قوله: **(سوء الخلف)**؛ للتشويق إلى ذكره، وقدّم المسند في قوله: **(شر من المصيبة)**؛ للتنبيه على أهمية الصبر، وكأن الأوس يواسي ولده مالكًا، ويوصيه بالصبر وألا يجزع حين المصاب.

ثم قدّم لفظ العموم والشمول في قوله: **(وكل مجموع إلى تلف)**؛ ليضم كل ما اتصف بصفة الجمع، فكل ما يحرص على جمعه الإنسان من المال والمتاع، حتمًا سيؤول إلى زوال وتلف.

وأنهى الأوس وصيته بما افتتحها به، فقد افتتح بالدعاء في قوله: **(لعل الذي أخرج العذق من الجريمة، والنار من الوثيمة، أن يجعل لمالك نسلًا، ورجالًا بسلًا)** وقد سبق أنْ أثبت البحث خروج الترجي من معناه الحقيقي إلى معنى مجازي وهو الدعاء[2]، وفي هذا لون بديعي ربط أول الكلام ومفتتحه بآخره، وهو رد الأعجاز على الصدور، فقد ربط بتلك الخاتمة وصيته قائلًا:

(حيَّاك إلهُك)، وكما افتتح الأوس بن حارثة وصيته بالدعاء لولده

---

(1) ينظر: فرائد اللآل في مجمع الأمثال، للعلامة الشيخ إبراهيم بن علي الأحدب الطرابلسي (٣٠٦/١)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين- دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان-لا ط-من دون.

(2) ينظر البحث (ص:١٠).

مالك، بقوله: (**لعل الذي استخرج العذق من الجريمة، والنار من الوثيمة، أن يجعل لمالك نسلًا، ورجالًا بسلًا**)، فمجمل هذا الترجي، والذي خرج من الترجي إلى الدعاء، هو الدعاء لولده مالك بالنسل الكثير، وعلى هذا فقد ختم وصيته بما افتتح به، فيقول: **(حياك إلهك)** فاستعمل الخبر في موضع الإنشاء، فجملة **(حياك إلهك)** جملة خبرية، ولكن أريد بها الإنشاء؛ وذلك للاحتراز عن صيغة الأمر في الدعاء، وأتى بها بصيغة الماضي؛ وذلك لإظهار الحرص في وقوعه؛ لأن رغبته قد عظُمت في استجابة الدعاء وكثُر تصوره إياه.

ومن جهة أخرى، أن الأوس بن حارثة استعمل صيغة الماضي للتفاؤل؛ ولذلك أورده بصيغة الماضي على أنه من الأمور الحاصلة التي حقها أن يخبر عنها بأفعال ماضية(١).

وبخروج الخبر من معنى الخبرية، إلى معنى الإنشاء ففيه مجاز أشار إليه التفتازاني في مطوله، فيقول: "فالخبر في هذه الصورة مجاز؛ لاستعماله في غير ما وضع له، ويحتمل أن يجعل كناية في بعضها(٢)".

واستعمل لفظ **(إله)** ولم يستعمل لفظ **(الله)**؛ لأن إله هي الأصل و**(الله)** مشتقة منها، حيث حذفت الهمزة وأدغمت اللام في اللام، و**(إله)** هو المعبود بحق وبغير حق، وهذا يتماشى مع زمن ما قبل النبوة، أما **(الله)** فهو علم على ذاته العليا، ولا يطلق إلا على المعبود بحق – جلّ شأنه–.

وبهذا الدعاء فقد أتم الأوسٌ وصيته، لتكون جامعة لكل خصال الخير، والتي ما إن اتبعها مالك ولده، فقد حاز الخير كله، وقد فعل، وصدقت دعوة أبيه له.

---

(١) المطول (ص: ٤٣٢).

(٢) المطول (٤٣٣).

المبحث الثاني:

الخصائص التي اتسمت بها وصية أوس بن حارثة

لقد كان لوصية الأوس بن حارثة صداها وأثرها في نفوس المتلقين، حتى إنهم تناقلوها خَلَفًا من بعد خلف، وصارت كل فقرة من فقراتها مثلًا يُضرب في كل موقف يشبه موردها.

واتسمت بالأقوال الجامعة، والتي تختزل كل فقرة من فقراتها بطياتها المعاني والمعاني، وكان للألوان البلاغية التي تزاحمت وتكاثرت في أثناء الوصية، التأثير الأكبر في المتلقين، والخصائص التي امتازت بها وصية الأوس بن حارثة.

أولًا: من جهة الألفاظ:

لقد استعمل الأوسُ في وصيته الألفاظ السهلة السلسة التي يسهل حفظها، وتلك السلاسة والرشاقة التي تتحلى بها الألفاظ صارت سمة من سمات وصية الأوس، وبالتعمق داخل الأصوات (الحروف) فتجدها موزّعة على مخارج تلك الأصوات بعناية، فلا هي بالقرب الشديد الذي يؤدي إلى ثقلها كمن يمشي في قيد، ولا بالمخارج المتنافرة، التي يكون التنقل من أحدها إلى الآخر كالطفرة[1]، وأن تلك الألفاظ كثيرة الدوران على الألسنة، فلا هي غريبة وحشية غير ظاهرة المعنى، ولا مخالفة للقياس اللُّغوي في تصريفها وإعرابها، ولا مكروهة في السمع، فتتبرأ الأذن من سماع صوتها ووقعها، فنغمتها مما تَهَشُّ الأذن لسماعها، مع ملاءمتها لمعناها الذي أراده الأوس، ويكثر دوران تلك الألفاظ على الألسنة إلى يومنا هذا، والتي لا تحتاج إلى التنقيب في المعاجم العربية

---

(1) المطول (ص: ١٤٠).

لمعرفة المعاني التي تحملها، اللهم إلا بعض الألفاظ التي شابها بعض الغموض، وبالبحث وُجِد أنها كانت دائرة على الألسنة وقتئذ، كقوله: **(شرٌّ شارب المشتَف، وأقبح طاعمٍ المقتف)** فكلمتا **(المشتَف والمقتَف)**، بالنظرة الأولى يشعر السامع في يومنا هذا بغرابتهما؛ وذلك لغموض المعنى الذي تحمله اللفظتان، ولكن بالرجوع إلى المعاجم تبيَّن سريانهما واشتهارهما في الاستعمال.

وقوله: **(اللئيم المعلهج)** فلفظة **(المعلهج)** على غرابتها، وتنافر الحروف التي بُنيت عليها الكلمة، فالاستعمال بَيَّنَ مناسبتها للغرض، فصارت الغرابة التي في اللفظة سمة من سمات فصاحتها، فهي كناية عن صفة الدناءة، وصفة الدناءة من الصفات التي ينفر منها العربي؛ ولذلك اختار الأوس اللفظ الذي تنفر منه الأذن عند سماعه، وكأن كل شيء في الدناءة مُنَفِّر حتى الألفاظ التي تدل عليها.

ونلحظ في جانب الألفاظ أنها تنوعت إلى أسماء، وأفعال بأنواعها، وحروف، ومشتقات، وهذا يدل على دقة الموصِي، وحرصه على استخدام الألفاظ الدقيقة التي تنقل ما في نفسه إلى ابنه بدقة، من أجل إيضاح المعنى وتأكيده في نفس المتلقي، ويتضح من ذلك دقة الموصِي في اختيار الألفاظ التي تتناسب مع المعاني التي وردت في الوصية.

ثانيًا: من جهة التراكيب:

لقد اختار الأوس الجمل التي صاغ منها وصيته بعناية فائقة، فبناها على كلمتين أو ثلاث، وأكثر من الحذف، حتى يكون وقعها على الآذان مُرضيًا، فتتلقاها بالقبول؛ لتتفتح القلوب لاستيعابها وحفظها، وقد كان لاختيار الألفاظ أثر في الموسيقى الناشئة من السجع الذي تسير عليه الوصية، فكانت التراكيب جامعة، فقوله: **(المنية ولا الدنية)**، جملة جامعة

جمعت خصال القوة والشجاعة والإقدام، وكذلك بقية الجمل التي صيغت منها الوصية، وفي هذا المعنى يقول أبو هلال العسكري: "الكلام- أيدك الله- يحسن بسلاسته، وسهولته، ونصاعته، وتخيّر لفظه، وإصابة معناه، وجودة مطالعه، ولين مقاطعه، واستواء تقاسيمه، وتعادل أطرافه، وتشابه أعجازه بهواديه، وموافقة مآخيره لمباديه، مع قلّة ضروراته، بل عدمها أصلًا، حتى لا يكون لها في الألفاظ أثر؛ فتجد المنظوم مثل المنثور في سهولة مطلعه، وجودة مقطعه، وحسن رصفه وتأليفه؛ وكمال صوغه وتركيبه، فإذا كان الكلام كذلك كان بالقبول حقيقًا، وبالتحفظ خليقًا[1]".

ونلاحظ -أيضًا- في مجال التراكيب، ميل الموصِي إلى الجمل الموجزة المتلاحقة، واستخدام التوافق النغمي بين بعض الجمل، حيث يتناسب هذا مع شعوره تجاه ولده وهدفه من الوصية، وحرصه على التأثير النفسي.

ثالثًا: السمات الفنية التي تميزت بها الوصية من خلال التحليل السابق:

وأول ملمح من ملامح تلك الخصائص البلاغية، السجع الذي اتسمت به تلك الوصية، وفي تأثير السجع في المتلقين، فقد أعجب العرب بالسجع حتى استعملوه في منظوم كلامهم، وصار ذلك الجنس من الكلام منظومًا في منظوم، وسجعًا في سجع[2].

وقد حدّه ابن الأثير في مثله السائر بقوله: "وحدّه أن يقال: تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد[3]"، وزاد ابن الأثير بأن

---

(1) كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري (ص: ٥٥).

(2) السابق (ص: ٢٦٤).

(3) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب ==

جعل له أصلاً، وما يفعله السجع بالنفوس، وتأثيره في المتلقين، فيقول: " اعلم أن الأصل في السجع إنما هو الاعتدال في مقاطع الكلام؛ والاعتدال مطلوب في جميع الأشياء، والنفس تميل إليه بالطبع [١]".

وقد استعمل الأوس بن حارثة أفضل أنواع السجع وأعلاه منزلة، وأسبقه رُتبة، ولم يتصنَّع في بناء وصيته على تلك الحال، فقد استعمل الفقرات المعتدلة الوزن، المتحدة الفاصلة، وفي فضل هذا النوع يقول صاحب صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: " المرتبة الأولى-أن تكون ألفاظ القرينتين مستوية الأوزان متعادلة الأجزاء ويسمّى التصريع، وهو أحسن أنواع السجع وأعلاها[٢]".

وثاني الخصائص لتلك الوصية، والتي صارت أنشودة ترتل معانيها في كل الميادين، ويُستشهد بها في كل المواطن لشموليتها، واحتمالها من المعاني الكثير والكثير، والسبب في ذلك هو تلك الخصيصة التي ميزت بناء تلك الوصية، وهي خصيصة بنائها على الحذف، وقد بين الإمام عبد القاهر الجرجاني في دلائله فضل الحذف وسبقت الإشارة إليه، فبناء الجمل على الحذف جعل النفس تذهب كل مذهب في تقدير ذلك المحذوف، وقد ساعد ذلك على إبراز الكثير من المعاني التي تحتمل التقدير لبيان المعنى المراد.

==

تـ: ٦٣٧هـ (١/ ١٩٥)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد-المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت- ١٤٢٠هـ.

(١) المثل السائر (١/ ١٩٨).

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشا- لأحمد بن علي القلقشندي تـ٨٢١هـ- (٣٠٤/٢) تحقيق: د/ علي يوسف الطويل- دار الفكر- دمشق- ط١-١٩٨٧م.

واختار الأوس من بين كل أنواع الحذف، الحذف الذي يُبقي الجملة على كلمة واحدة، وفي فضل هذا النوع يقول الدكتور محمد أبو موسى: " ومن أحسن مواقع الحذف ما ترى الجملة فيه بقيت على كلمة واحدة، وقد يكون ذلك في سياق قوي مجلجل، فيزداد حسن هذا الحذف [1]".

وقد نوّع الأوس بين حذف المسند إليه وبين حذف المسند، وفي بعض الوصايا اختار بناءها على جواز التقديرين، إما المسند إليه أو المسند؛ وذلك ليكثِّر المعنى، وكانت كل الوصايا معناها أقرب للقلوب وأسرع في الوصول إليها، من وقع جرس حروفها على الآذان، فصنع الرِيَّ للقلوب الصادية بعد طول ظمأ.

وثالث تلك الخصائص، الوصل بين كل وصية وأختها بحرف العطف الواو؛ ولذلك الحرف خصيصة، فهو لمطلق الجمع، وكأنه حبل يتسلل من بين الوصايا، حتى يجعلها كالأخوات تنحدر انحدارًا، كالماء ينساب رويدًا رويدًا على الأوردة فيصيبها الرِيّ فتشبع.

وباب الوصل من أغمض الأبواب ولا يقدر عليه إلا الأعراب الخُلَّص كالأوس، وفي هذا المعنى يقول عبد القاهر الجرجاني: " اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة، تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة، ومما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخلص، وإلا قوم طبعوا على البلاغة، وأوتوا فناً من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد، وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حدًا للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال: "معرفة الفصل من الوصل"، ذاك

([1]) خصائص التراكيب (ص:٣١٣).

لغموضه ودقة مسلكه، وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد، إلا كمل لسائر معاني البلاغة[١]".

والخصيصة الرابعة، هي الطباق المنثور بين جمل الوصية، فقد أظهر إيراد المعنى ونقيضه، الحُسن الذي يكون بإبراز الضدين في معرض واحد، فالضد يظهر حسنه الضد، وذلك ليعقد المتلقي المقارنة بين المعنيين المتضادين في ذهنه ليختار الأصوب والأفضل، ففي قول أوس: "من قلَّ ذلّ" وقوله: "أَمِرَ فلَّ"، وقوله: "خير الغنى القناعة" وقوله: "شر الفقر الضراعة"، وقوله: "يوم لك" وقوله: "يوم عليك"، وقوله: "الشريف الأبلج" وقوله: "اللئيم المعلهج"، فكل جملتين من تلك الجمل فيها من طباق الإيجاب الذي أظهر مراد أوس من وضع الصورتين معًا في ذهن ولده مالك أولًا، وفي ذهن المتلقي عمومًا ثانيًا؛ ليعقد المقارنة بين الكنايتين، ثم يقرر أيهما يختار، ولورودهما في معرض واحد فإن النفس تميل إلى كل خير، وتنفر من كل عيب وشر.

ثم أورد طباقًا بالسلب في قوله: "تعزٌّ من ترى" وقوله: "ويعزك من لا ترى" فبين (ترى، ولا ترى) طباق بالسلب أظهر الحسن الكامن في المعاني المحتجبة وراء الألفاظ، مع حسن النغمة التي تحلت بها ألفاظ تلك الوصية.

وخامس تلك الخصائص وتتمتها الصور البيانية التي وردت في ثنايا الوصية، على قلة الصور البيانية وندرتها؛ وذلك لأن الأوس أراد وصية ولده مالك بالحقيقة، فالمعنى قريب ولا يحتاج في بيانه إلى صور البيان من تشبيه واستعارة وغيرهما، ولكن وردت بعض الصور المجازية في

---

(١) دلائل الإعجاز (ص:٢٢٢).

ثنايا الوصية كقول الراوي: "فلما حضره الموت" حيث أثبت للموت حضورًا على سبيل الاستعارة التخيلية، والتي هي قرينة الاستعارة المكنية، وقول الأوس: " استخرج العذق من الجريمة" والمجاز المرسل الذي علاقته الجزئية في قوله : "العذق" فهو الشمراخ من شماريخ النخلة وأراد به النحلة كلها، والذي علاقته الكلية، في قوله: "الجريمة" في الرطبة كاملة وأراد النواة التي بداخلها، ودلت على كناية طلاقة القدرة الإلهية في الخلق.

ومن الكنايات التي زانت الوصية لمراميها البعيدة، وإثباتها الشيء والدليل عليه معًا، قوله: "شر شارب المشتف، وأقبح طاعم المقتف" كنايتان عن الشره والدناءة، وقوله: "ذهاب البصر خير من كثير من النظر" كناية عن العفة وغض البصر.

وبعد إظهار تلك الخصائص التي امتازت بها وصية الأوس، فقد ذكر الدكتور شوقي ضيف تعليقًا على الجمال في النثر العربي فيقول: "وفي جميع آثار نثرهم، وشعرهم نجد آثار هذه الرغبة الملحة في استمالتهم الأسماع بجمال منطقهم وخلابة ألسنتهم، وقد دفعتهم تلك الرغبة دفعًا إلى تحسين كلامهم، وتحبير ألفاظهم حتى في أمثالهم، وهيأ لذلك أن كثيرًا من بلغائهم، وفصحائهم أسهموا في صناعة هذه الأمثال، فكان طبيعيًا أن تظهر فيها خصائصهم الفنية التي يستظهرونها في بيانهم، وتدبيج عباراتهم حين ينظمون، أو يخطبون[1]".

وسادس تلك الخصائص: الوضوح وعدم الغموض:

ونلحظ في الوصية بشكل عام أنها تتسم بالوضوح، والبعد عن

([1]) الفن ومذاهبه في النثر العربي (ص: ٢٦)

الغموض، والقرب من الأفهام، وقد أعربت عما يريده الموصِي دون خفاء، ويؤكد ذلك ورودها في مواضع متعددة في كتب التراث، وأثرها القوي في كل من يطالعها.

كما نلاحظ على الوصية أنها تتسم بالعموم، ويمكن الإفادة بما فيها من نصائح وتوجيهات في كل زمان ومكان، فهي لا تحمل الطابع الخاص فقط، وإنما الطابع العام أيضًا، مثل وصايا أسلافنا، كأنها موجهة إلى الناس كافة.

المبحث الثالث: أثر وصية الأوس بن حارثة في الوصايا اللاحقة:

إن لغة العرب قبل الإسلام كانت هي الحجة والدليل، بها استشهدوا، ومنها استقوا ألفاظهم وتراكيبهم، ولما لوصية الأوس بن حارثة من الإحكام اللغوي في البناء والتراكيب، في صورة الألفاظ مفردة، والحكمة البالغة التي صيغت في ألفاظ قليلة، وتعبر عن مضامين ومفاهيم جمة، فقد صارت كل فقرة من فقرات الوصية مثلًا يُستشهد به في مختلف المحافل، وقد تأثر واستعان ببعض من النصوص التي وردت في ثنايا وصية الأوس بن حارثة العمالقة من أرباب اللغة، فعلى سبيل التوضيح والبيان لا الحصر ما يلي:

أولًا: الأدباء والخطباء:

لقد استعان هانئ بن قبيصة الشيباني يوم ذي قار، وهو يحرض قومه على القتال بقول الأوس: "المنية ولا الدنية" فيقول هانئ محرِّضًا: "يا معشر بكر، هالك معذور، خير من ناج فرور، إن الحذر لا ينجى من القدر، وإن الصبر من أسباب الظفر، المنية ولا الدنية، استقبال الموت خير من استدباره[1]".

واستشهد بها الإمام علي بن أبي طالب، فقد ورد في نثر الدر في المحاضرات، أن الإمام علي بن أبي طالب قال: "الاهتمام بِالْأَمر يثير لطيف الْحِيلَة، الرَّد الْجَمِيل خيرٌ من المطل الطَّوِيل، شَفِيع المذنب إِقْرَاره، وتوبته اعتذاره، الْمنية وَلَا الدنية، الْحِيلَة أبلغ من الْوَسِيلَة، لِسَان الْمَرْء من

(1) أمالي القالي (١/ ١٦٩)، ومحاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (٢/ ١٤٧).

خدم عقله[١]، وذكرها كرم الله وجهه في موطن آخر قائلًا: " ألا إنّ من البلاء الفاقة، وأشدّ من الفاقة مرض البدن، وأشدّ من مرض البدن مرض القلب، ألا وإنّ من النعم سعة المال، وأفضل من سعة المال صحّة البدن، وأفضل من صحّة البدن تقوى القلب، المنية ولا الدنيّة، التقلّل ولا التوسّل[٢].

وذكر ابن أبي الدنيا ما يُعضد هذا المعنى ويقويه، وأسنده إلى حكيم لم يذكر اسمه، فيقول: " قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: مَا مِنْ خَصْلَةٍ مِنَ الْخِصَالِ هِيَ لِلْغَنِيِّ مَدْحٌ إِلَّا وَهِيَ لِلْفَقِيرِ عَيْبٌ, فَإِنْ كَانَ الْغَنِيُّ مِقْدَامًا يُسَمَّى شُجَاعًا, وَإِنْ كَانَ الْفَقِيرُ مِقْدَامًا سُمِّيَ أَهْوَجَ, وَإِنْ كَانَ الْغَنِيُّ بَلِيغًا سُمِّيَ خَطِيبًا, وَإِنْ كَانَ الْفَقِيرُ بَلِيغًا سُمِّيَ مِهْذَارًا, وَإِنْ كَانَ الْغَنِيُّ رَكِينًا سُمِّيَ حَلِيمًا, وَإِنْ كَانَ الْفَقِيرُ رَكِينًا سُمِّيَ ثَقِيلًا، وَإِنْ كَانَ الْغَنِيُّ صَمُوتًا سُمِّيَ زَمِيتًا وَإِنْ كَانَ الْفَقِيرُ صَمُوتًا سُمِّيَ غَبِيًّا, وَالْمَوْتُ خَيْرٌ مِنَ الْحَاجَةِ الْمُضْطِرَّةِ إِلَى النَّاسِ[٣].

أما قوله: "واعلم أن القبرَ خيرٌ من الفقرِ، وشرٌّ شاربٍ المشتف، وأقبح طاعم المقتف"، فقد أورد ابن أبي الدنيا في إصلاح المال أقوالًا لبعض الشعراء الذين ضمَّنوا أشعارهم هذه الوصية، فيقول: " قال بعض

---

(١) ينظر: نثر الدر في المحاضرات (١/ ٢٠٠).

(٢) ينظر: التذكرة الحمدونية- لمحمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون تـ٥٦٢هـ (١/ ٢٥٤)، الناشر: دار صادر، بيروت-ط١- ١٤١٧هـ.

(٣) ينظر: إصلاح المال، لأبي بكر عبد الله بن محمد المعروف بابن أبي الدنيا تـ٢٨١هـ (ص: ١٢٢)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا- مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت – لبنان-ط١- ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

الشعراء:

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْقَبْرَ خَيْرٌ مِنَ الْفَقْــرِ لِمَنْ كَانَ ذَا يُسْرٍ فَأَصْبَحَ ذَا عَسُرِ

وَمَنْ لَمْ يَزَلْ يَغْذُ بِأَفْضَلِ نِعْمَــةٍ مُقِيمًا وَلَمْ يَلْحَظْ بَانَ لَــهُ الــدَّهْرُ

وَلَلْمَوتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَــاةِ مُكْــرَمٍ وَمَنْ يَسْأَلْ مُكْدِيًا أَخَافَهُ الْفَقْــرُ[1]

وذكرها أبو حيان التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة، بأنها من جملة الجمل القصيرة التي قالها ابن المراغي[2]، فيقول: "لو سكت من لا يعلم سقط الاختلاف، لا عذر في غدر، ليس من العدل سرعة العذل، أقبح عمل المقتدرين الانتقام، شرٌّ من الموت، ما يُتمنّى له الموت، من جاع جشع، المكيدة في الحرب أبلغ من النّجدة، لك من دنياك ما أصلح مثواك، من أحبّ أن يطاع، لا يسأل ما لا يستطاع، إذا غلبتك نفسك بما تظنّ، فأغلبها بما تستيقن، الرّدّ الجميل أحسن من المطل الطويل، القبر خير من الفقر، شفيع المذنب إقراره، وتوبته اعتذاره، صحبة الأشرار، تورث سوء الظّنّ بالأخيار[3]".

أما قول الأوس: **(من قلَّ ذلّ، ومن أَمِرَ فلَّ)**، فقد استشهد بتلك الوصية إسحاق الفارابي(ت:٣٥٠ه)، في معجم ديوان الأدب، حين أراد أن يُدلِّل على معنى الفلّ، فيقول: " فَلَّه، أي: كَسَرُه، يُقال: مَنْ قَلَّ ذَلَّ، ومَنْ

---

(1) السابق(ص: ١٢٣).

(2) محمد بن جعفر بن محمد أبو الفتح الهمذاني، كان من أهل الأدب، عالمًا بالنحو واللغة، وله كتاب صنفه وسماه، كتاب البهجة، على مثال الكتاب الكامل للمبرد، (ت: ٣٧١ه). ينظر: الأعلام- للزركلي (٦/ ٧١).

(3) الإمتاع والمؤانسة، لأبي حيان التوحيدي تـ٤٠٠هـ (ص: ٢٥٩)، الناشر: المكتبة العصرية- بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ.

أَمِرَ فَلَّ، ومَلَّ ثَوْبه، أي: خاطَهُ الخياطةَ[١]"، وذكرها الجَوْهَرِيّ في صحاحه في ذات المعنى مستدلًا بها على معنى كلمة (فَلَّ)، فيقول: تَفَلَّلَتْ مضاربه، أي: تكسَّرت، ويقال أيضًا: جاء فَلٌّ القوم، أي: منهزموهم، يستوي فيه الواحد والجمع، يقال: رجلٌ فَلٌّ، وقومٌ فَلٌّ، وربَّما قالوا: فَلولٌ وفِلالٌ، وفَلَلتُ الجيش: هزمته، وفَلُّهُ يَفُلُّهُ بالضم، يقال فَلَّهُ فانْفَلَّ، أي: كسره فانكسر، يقال: من قل ذل، ومن أمر فل، والفل بالكسر: الأرض التي لم تمطر ولا نبات بها[٢]".

ثانيًا: اللغويون:

ذكرها صاحب البحر المحيط وهو يُعَرِّف بلفظة (دنو) فاستعمل تلك الوصية مدللًا على المعنى فيقول: "ودَنى فلانٌ تَدْنِيَةً: طَلَبَ أَمْرًا دانِيًا خَسِيْسًا، وهو مُدَنّ، والدنِي: السّاقِط، دَنِيَ يَدْنى ودَنَا يَدْنُو، وقَوْمٌ أَدْنيَاءُ، دَنًا ودِنَايَةً، ونَفْسُه تَتَدَنَاه: أي تَحْمِلُه على الدَنَاءَةِ، والدَنِيةُ: مِثْلُها، وفي المَثَلِ: " المَنِيةُ ولا الدنِيَّةُ [٣]".

وذكرها صاحب جمهرة الأمثال، وفي أمالي المرتضى، أن دويد بن زيد قد ذكرها حينما كان يوصي أولاده، فيقول: " قال أبو حاتم: عاش دويد بن زيد أربعمائة سنة وستًا وخمسين سنة قال ابن دريد: "لما حضرت دويد بن زيد الوفاة- وكان من المعمّرين، قال: ولا تعدّ العرب

---

(١) معجم ديوان الأدب، لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي تـــ ٣٥٠هـ (٣/ ١٣١)، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس- مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٥/ ١٧٩٣).

(٣) المحيط في اللغة مادة [دنو] (٢/ ٣٦٠).

معمّرًا إلا من عاش مائة وعشرين سنة فصاعدًا- قال لبنيه: "أوصيكم بالناس شرًا، لا ترحموا لهم عبرة، ولا تقيلوهم عثرة، قصّروا الأعنّة، وطوّلوا الأسنّة، واطعنوا شزرًا، واضربوا هبرًا؛ وإذا أردتم المحاجزة، فقبل المناجزة، والمرء يعجز لا المحالة، بالجدّ لا بالكدّ، التجلّد ولا التبلّد، والمنية ولا الدّنية، لا تأسوا على فائت وإن عزّ فقده، ولا تحنّوا إلى ظاعن وإن ألف قربه[1].

وأما قول الأوس **(العتاب قبل العقاب والتجلد ولا التبلد)**، فقد استشهد به ابن سلام الهروي البغدادي في أمثاله، باب معاتبة الإخوان وفقدهم[2]، وابن قتيبة في عيون الأخبار[3]، وصاحب العقد الفريد[4]، وذكرها الزمخشري في المستقصي في أمثال العرب[5]، وغيرهم من أرباب اللغة.

ولأهمية تلك الوصية ذكرها ابن فارس في مقاييس اللغة[6]، وذكرها

---

(1) ينظر: جمهرة الأمثال (1/ 83)، وأمالي المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد (1/ 236).

(2) ينظر: الأمثال لابن سلام -لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم الهروي البغدادي تـ224هـ (ص: 183)، تحقيق: الدكتور عبد المجيد قطامش، الناشر: دار المأمون للتراث-ط1- 1400 هـ - 1980م.

(3) ينظر: عيون الأخبار، لابن قتيبة تـ 276هـ (3/ 36) دار الكتب العلمية – بيروت- 1418هـ.

(4) ينظر: العقد الفريد، لأبي عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه تـ 328هـ (313/4) دار الكتب العلمية – بيروت- ط1- 1404هـ.

(5) ينظر: المستقصي في أمثال العرب-للزمخشري جار الله تـ 538هـ (331/2)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت- ط2- 1987م.

(6) مقاييس اللغة (1/ 138).

أبو هلال العسكري في ديوان المعاني، وردت في أبيات شعر لأبي سعيد الأصفهاني حيث يقول:

وَقُلــتُ لَهَــا غــرِّدي بِالَّــذِي كَتمتِ فَأسرعنَ نَحــوي انقِيَــادَا

وَأَنشدتُ بَيتًــا مُعــادَ الفُصــول وَلَستَ تَرَى فِيــهِ مَعنــى مُعَــادَا

وَمَــن ذَلّ قَــلّ وَمَــن قَــلّ ذَلّ وَمَن سَادَ جَادَ وَمَن جَادَ سَــادَا[١]

ووردت في شرح حماسة أبي تمام للفارسي، في شرح أبيات أبي تمام التي يقول فيها:"

إِن المرء لم تغضب لــه حــين فوارس إن قيل اركبــوا المــوت

ولم يُحبه بالنصر قــوم أعــزة مقاحيم في الأمر الــذي يتهيــب

تَهضَّمه أدنى العدو ولــم يــزل وإن كان عضا بالظُلامة يضــرب

ويروى بالملامة ويروى "اركبوا الخيل"، والعض: الداهية كأنه عضه الدهر وأثر فيه، وهو فعل بمعنى مفعول، المعنى: يقول: إذا انفرد الرجل ولم يكن له فوارس يغضبون بغضبه، ويركبون إلى الحرب بأمره، ولم ينصره قوم يدخلون في الأمور الصعاب استضعفه أدنى العدو، ولم يزل يظلم وإن كان داهية، **وفي المثل "من قل ذل**[٢]".

ثالثًا: المفسرون:

فقد ذكرها صاحب البحر المحيط، في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ**

---

(١) ديوان المعاني لأبي هلال العسكري تـــ ٣٩٥هـ (٢/ ٢٠٩)، الناشر: دار الجيل – بيروت.

(٢) شرح حماسة أبي تمام، لأبي القاسم زيد بن علي الفارسيّ تـــ ٤٦٧ هـ (٢/ ٣٢٧)، تحقيق: د. محمد عثمان علي– دار الأوزاعي – بيروت، الطبعة: الأولى.

يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ [1]﴾، لما ذكر ثواب مراعي الحدود ذكر عقاب من يتعداها، وغلظ في قسم المعاصي، ولم يكتف بالعصيان بل أكد ذلك بقوله: (ويتعد حدوده)، وناسب الختم بالعذاب المهين؛ لأن العاصي المتعدي للحدود برز في صورة من اغتر وتجاسر على معصية الله، وقد تقل المبالاة بالشدائد ما لم ينضم إليها الهوان، ولهذا قالوا: المنية ولا الدنية[2]" ووافقه الألوسي في روح المعاني في تفسير قوله تعالى:﴿ **فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا** [3]﴾ بالاستشهاد بها[4].

والاستشهاد بوصية الأوس تلك وردت في العديد من المواطن، والكتب التي تناقلتها في مختلف مواطن الاستشهاد كثيرة مثل: أساس البلاغة للزمخشري[5] وصاحب فيض القدير في شرح الجامع الصغير، للمناوي[6]، وغيرهم الكثير.

وبعد استعراض كثير من وصايا الأوس التي استعان بها الخطباء

---

(1) سورة النساء الآية رقم (١٤).

(2) ينظر: البحر المحيط في التفسير- لأبي حيان تـــ ٧٤٥هـ (٣/ ٥٥١)، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت- ١٤٢٠هـ.

(3) بعض آية من النساء (رقم :٩٠).

(4) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- لشهاب الدين محمود بن عبد الله تـ١٢٧٠هـ (٣/ ١٠٠)، تحقيق: علي عبد الباري عطية – دار الكتب العلمية – بيروت- ط١، ١٤١٥هـ.

(5) ينظر: أساس البلاغة (١/ ٣٤).

(6) ينظر: فيض القدير (٢/ ٢٦).

والبلغاء في المحافل المختلفة، وأوردتها الكتب وتناقلها الرواة خلفاً عن سلف، وبيان أهمية تلك الوصية والتي يجب أن تكون من أهم ما ندرسه في عصرنا هذا، وتوجيه الدارسين للمعاني التي تحتملها ألفاظها، وبيان الأثر والفائدة التي تعمهم إذا جعلوها منهجًا ومنهاجًا لهم، ومن خلال عرض الاستشهاد بالوصية في كثير من كتب التراث تبين تنوع المجالات والعلوم التي استشهد بها فيها، وتعدد الغايات من وراء الاستشهاد بها ، يدل دلالة أكيدة على قيمة الوصية الفنية والمعنوية، وما تضمنته من حكم ونصائح، ويؤكد –أيضًا– على أهميتها في مجال الوصايا؛ لروعة أسلوبها، ودقة معانيها، وعظم ما تضمنته من حكم بالغة، وتوجيهات سديدة، وصدق الموصِي، وخبرته الواسعة في الحياة.

فهذه وصية الأوس بن حارثة، التي تمتاز بالأقوال الجامعة، والحكم النابعة من بيت سيادة وخبرة في أمور الحياة الدنيا وتقلباتها، والمطّلِع على تلك الوصية يلمح الفطرة الإيمانية الكامنة في قلوب العرب قبل الإسلام، والتمسك بكل ما يُعلى الفرد والقبيلة، من العزة والسيادة والكرم والنُصرة والنجدة.

ولما كان الدعاء من الأوس لولده مالك نابعًا من القلب، لا يشوبه رياء أو نفاق أو ريب، فقد استجاب الله ذلك الدعاء، وأخرج من مالك ما جعل قبيلته والخزرج سواء بسواء، وجعلهم للرسول الأنصار، ومن المصطفين الأخيار، فحملوا أمانتهم بأمانة، ودافعوا عن دين الله ورسوله ﷺ، فمنهم حنظلة غسيل الملائكة، ومنهم من استخلفه رسول اللهﷺ وهو أبو لبابة بن عبد المنذر، واسمه بشير، فكان لمالك بن الأوس النسْل، والرجال البُسل، والقائمة تطول من الصحابة الأخيار، والرجال الأطهار الذين جاءوا من صلب مالك بن أوس، فأصابت الدعوة صاحبها، وذاك

دليل الإخلاص.

وإن كان للبحث وصية يوصي بها، فالوصية تعليم تلك الكلمات للأجيال المتعاقبة، لينالوا بها العِزّة، ويرتقوا بها منابر الرِفعة، وليس التعليم وحده بل العمل على غرسها كأساس في النشأة والتربية، فبمثل تلك الكلمات الجامعة السهلة الحمل والحفظ، تكون التربية، حتى تكون تلك الأمة أُمة قائدة مُوجِّهة، والحمد لله الذي وصى بكل خير.

الخاتمة

الحمد لله الذي أتمّ، وله الشكر على ما باح به القلم، وله الثناء إذ هداني إلى وصية الأوس بن حارثة بما فيها من حِكَمٍ بالغة والأحاسن من القِيَم، والصلاة والسلام على من أخرج من البدو علماء دانت لهم رؤوس العرب والعجم، وأبقى لنا ما إن تمسكنا بهما سُدْنا وارتقينا على كل الأمم.

وبعد،

فيما سبق من صفحات البحث تناولت بالتحليل البلاغي وصية الأوس ابن حارثة لابنه مالك، وما سبقها من تقديم وأخبار مهَّد بها راويها، فبينت ما تضمنته من فنون وأساليب بلاغية مختلفة، وكشفت عن أسرارها ودواعي استخدامها، ودقة الأوس وروعة بيانه في وصيته، كما بينت الخصائص المختلفة التي اتسمت بها الوصية، وقيمتها الفنية واللغوية والأدبية، التي أكدتها كثرة الاستشهاد بها في المجالات اللغوية والأدبية، وغيرها.

ومن خلال التحليل البلاغي للوصية تبين ما يلي:

١- للوصية قيمة أدبية ولغوية وفنية عالية، دفعت أسلافنا العرب بالاستشهاد بها في كتبهم، وفي مجالات متعددة، مما يؤكد علو منزلتها عندهم، وصلاحيتها البيانية والفنية للاستشهاد بها في مختلف المواقف والمواضع متعددة.

٢- امتازت الوصية بالحبكة اللغوية والبلاغية، والفصاحة في المفردات والتراكيب، وبُعْدها عن الاضطراب اللغوي، والقلق في تركيب الجمل، وسهولة الألفاظ ووضوحها.

٣- كان للسجع الذي بُنِيَت عليه الوصية الأثر البالغ في جمال النغمة، وتناسق الإيقاع، وزاد من جماله أن الأوس راعى في

جُمَلِه المقدار في الطول والقِصر، فكلما أشارت الوصية إلى كثرة المسئولية التي تتضمنها طالت الجمل، وكلما كانت الوصية يُرادُ بها الحسم والحزم قصُرَت الجمل، ودلَّ ذلك على الفطرة اللغوية التي امتاز بها الأوس، وكانت صدى لعصره.

٤- إن الطريقة التي انتهجها الأوس بن حارثة في التنقل بين الجمل، ففصل ما حقه الفصل، ووصل ما استحق الوصل، يعتبر مثالًا يُحتذى به في التطبيق العملي لقاعدة الفصل والوصل.

٥- قلة الصور البيانية من استعارة وتشبيه ومجاز مرسل، أما الكناية فتعتبر الوصية بجملتها كناية عن بعض الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها كل فرد حتى ينال الخير كل الخير.

٦- سرعة وصول المعاني التي أرادها الأوس للقلوب، قبل وصول نغمة ألفاظها وموسيقى كلماتها إلى الأذن، مما يدل على الصدق الذي يشيع في كل لبنة من اللبنات التي بُنِيَت منها الوصية.

إنها أنموذج طيب يحتذى به وأصل يقتدى به؛ لأنها خبرة الكبار يقدمونها للصغار، للاقتداء والاحتذاء، والاهتداء بها في دروب الحياة.

٧- تعد الوصية دليلًا أكيدًا على روعة تراثنا الأدبي العربي، واشتماله على درر رائعة دقيقة، يمكن الاستفادة منها في حياتنا اليومية، واستلهام ما تنطوي عليه من النصائح والتوجيهات المفيدة، والعبر والدروس المؤثرة، سيكون سببًا في رقي الأمة العربية، واستعادة أمجادها باستعادة الروح التي كانت تسري في أوصال رجالها، بالسير على طريقتهم والاستماع إلى نصائحهم.

المصادر والمراجع

- أدوات الإعراب، لظاهر شوكت البياتي، ن: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م.
- أساليب بلاغية، الفصاحة – البلاغة – المعاني، لأحمد مطلوب – وكالة المطبوعات – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٠م.
- أسد الغابة لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت:٦٣٠هـ)، دار الفكر – بيروت،١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.
- أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم " الفاء وثم"، تأليف: د: محمد أمين الخضري، مكتبة وهبة ط: الأولى (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).
- الإصابة في تمييز الصحابة لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط/١ – ١٤١٥هـ.
- إصلاح المال، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (٢٨١هـ)، تح: محمد عبد القادر عطا، الناشر: مؤسسة الكتب

الثقافية – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

- الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، لإبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي (ت: ٩٤٣ هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي– دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – ط١ – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
- الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، ن: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
- الأمالي لأبي علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان (ت:٣٥٦هـ)، تح: محمد عبد الجواد الأصمعي، ن: دار الكتب المصرية، الطبعة: الثانية، ١٣٤٤ هـ – ١٩٢٦م.
- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، لتقي الدين المقريزي (ت:٨٤٥هـ) تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية – بيروت–ط/١، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
- الإمتاع والمؤانسة، لأبي حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت:٤٠٠هـ)، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ.

- الأمثال لابن سلام، لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، (ص: ١٨٣)، تح: الدكتور عبد المجيد قطامش، الناشر: دار المأمون للتراث، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، لمحمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ)، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، ن: دار الجيل – بيروت، الطبعة: الثالثة–من دون.
- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تح: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لعبد المتعال الصعيدي، (٤/ ٦٠٥) مكتبة الآداب، الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف، دار المعارف – مصر، الطبعة: الأولى، ١٩٦٠ - ١٩٩٥م.
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لعبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (المتوفى: ٦٥٤هـ)، تح: الدكتور حفني

محمد شرف، ن: الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي

- التذكرة الحمدونية لمحمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (المتوفى: ٥٦٢هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.
- توجيه اللمع، لأحمد بن الحسين بن الخباز، تح: فايز زكي محمد دياب– دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.
- الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، لأبي الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريرى النهرواني (ت: ٣٩٠هـ)، تح: عبد الكريم سامي الجندي–دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.
- جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري(ت٣٩٥هـ) –دار الفكر– بيروت–لاط–من دون.
- جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة لأحمد زكي صفوت –المكتبة العلمية–بيروت–لبنان–لا ط– من دون.
- حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني، لمحمد بن عرفة الدسوقي، تح: عبد الحميد هنداوي، ن: المكتبة العصرية، بيروت– ط ١– ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م

- خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد محمد أبو موسى، ن: مكتبة وهبة، الطبعة: السابعة- من دون.
- الدر الفريد وبيت القصيد، لمحمد بن أيدمر المستعصمي (٧١٠هـ)، تح: الدكتور كامل سلمان الجبوري، ن: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
- دلائل الإعجاز – لعبدالقاهر الجرجاني(المتوفى: ٤٧١هـ)، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر، ن: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ديوان المعاني لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) الناشر: دار الجيل – بيروت-لا ط-من دون.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.
- زهر الأكم في الأمثال والحكم للحسن بن مسعود(ت١١٠٢) تح، د محمد حجي، د محمد الأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- شرح تسهيل الفوائد، لمحمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي ، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ)، تح: د. عبد الرحمن

السيد، د. محمد بدوي المختون، ن: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).

- شرح حماسة أبي تمام، لأبي القاسم زيد بن علي الفارسيّ (المتوفى: ٤٦٧ هـ)، تح: د. محمد عثمان علي -الناشر: دار الأوزاعي - بيروت، الطبعة: الأولى-من دون.
- شهداء أحد الذين ذكرهم ابن إسحاق في مغازيه لمحمد بن عبد الله بن عبد القادر غبان الصبحي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السادسة والثلاثون، العدد ١٢٤ - ١٤٢٤هـ /٢٠٠٤م.
- شرح المفصل للزمخشري، ليعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (المتوفى: ٦٤٣هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، ن: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا- لأحمد بن علي القلقشندي ت٨٢١هـ- تحقيق: د/ علي يوسف الطويل- دار الفكر- دمشق- ط١-١٩٨٧م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ن: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه (المتوفى: ٧٤٥هـ)، ن: المكتبة العنصرية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، لأحمد بن علي ، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (المتوفى: ٧٧٣ هـ)، تح:د/عبد الحميد هنداوي، ن: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م.
- العقد الفريد، لأبي عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.
- علم البديع، لعبد العزيز عتيق، ن: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان–لا ط– من دون.
- عيون الأخبار، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت، ١٤١٨هـ.
- فرائد اللآل في مجمع الأمثال، للعلامة الشيخ إبراهيم بن علي الأحدب الطرابلسي، تح: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان–لاط–من دون.

- الفن ومذاهبه في النثر العربي، لأحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف، ن: دار المعارف–ط٢–من دون.
- كتاب الصناعتين، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ن: المكتبة العنصرية – بيروت، ١٤١٩هـ.
- الكتاب، لعمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، ن: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لنصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفى: ٦٣٧هـ)، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت، ١٤٢٠هـ.
- مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (المتوفى: ٥١٨هـ)، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ن: دار المعرفة – بيروت، لبنان–لا ط– من دون.
- مجمل اللغة لابن فارس، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تح: زهير عبد

المحسن سلطان، ن: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية – ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

- المستقصي في أمثال العرب، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨٧م.
- المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، للعلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت: ٧٩٢هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، ن: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- معاني النحو د. فاضل صالح السامرائي، ن: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م
- معجم ديوان الأدب، لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (ت: ٣٥٠هـ)، تح: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، طبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، ن: دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور: جواد علي (ت:١٤٠٨هـ) دار الساقي، ط/٤- ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م (٢٦/١٠).
- مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، ن: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- نثر الدر في المحاضرات لمنصور بن حسين الرازي(ت٤٢١هـ)، تح: خالد عبد الغني محفوظ-دار الكتب العلمية-بيروت-الطبعة الأولي-١٤٢٤هـ
- نسب معد واليمن الكبير، لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، تحقيق: الدكتور ناجي حسن، الناشر: عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
- نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب لابن سعيد الأندلسي، تحقيق: الدكتور نصرت عبد الرحمن مكتبة الأقصى، عمان - الأردن-لا ط- من دون.
- إصلاح المنطق لابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (المتوفى: ٢٤٤هـ)، المحقق: محمد مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
- المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت: ٤٥٨هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
- معجم متن اللغة – لأحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)، الناشر: دار مكتبة الحياة – بيروت، ١٣٧٩ هـ – ١٩٦٠م.